

كتاب
الاشاعة لأشراط الساعة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م بيروت

الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م دمشق

دار الفجر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - هلبوف - شارع مسام البارودي
ص.ب ٥١٧٥ - هاتف: ٢٢٢٦٢٠٧

دار الفجر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق الحلبي - جادة ابن سينا
ص.ب : ٥٢٩٩ - هاتف : ٢٢٢٤٧٢٧

كتاب الاشاعة لأثر اط الساعه

للإمام محمد بن عبد الرسول الحسيني الشهير في البرزنجي
المتوفى سنة ١٠١٣ هـ

موفق فوزي الجبر



دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق

الاهداء

إلى أخي الرَّاحِل ، فريد
الذي طالما ذكرناه لا تفارقني ،
مذ اختاره الله إلى جواره
إلى روحه الطاهرة

أُقَدِّم هذا الكتاب

موفق فوزي الجبر

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، أحمدك ربّي كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، أنت المتفضل بالنعمة، ونحن نسارع بالكفران.

وأصلي وأسلم على خير خلقك وخاتم رسلك، سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد . . .

فلقد طلب مني الأخ الأستاذ «طارق السعود» صاحب دار الهجرة أن أقوم بتحقيق مخطوطة «الإشاعة لإشراط الساعة» التي كان قد طما عليها غبار الزمن في مكتبته، فأحببت أن أساهم في هذا العمل الجليل الذي يهدف إلى تعريف الناس وتذكيرهم بإشراط الساعة والحساب والعذاب، وأن لا ينجرفوا وراء الشهوات، وأن يضعوا دائماً أمام أعينهم مخافة الله، فقامت بخدمة هذا الكتاب خدمة يسيرة متواضعة، أسأله أن يجعله خالصاً لوجهه، ويحقق النفع للأمة.

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على نسخة مخطوطة ونسخة مطبوعة.

وصف النسخة المخطوطة :

وهي نسخة المكتبة الظاهرية، وهي نسخة كاملة، محفوظة في ظاهرية دمشق برقم : ١٢١٧/ عام، كتبها أحمد بن أحمد الحرسني الحنفي، وتقع في ٩٦ ورقة، الخط واضح

مقروء إلا في بعض الصفحات نتيجة الرطوبة وظروف الحزن، في كل صفحة ٢٧ سطرًا،
كُتِبَ على الصفحة الأولى العنوان وكتابات أخرى، ومُهرت بختمين أحدهما: دار
الكتب العربية بدمشق. والثاني: دار الكتب الظاهرية.

أما عملي في هذا الكتاب، فهو يتضمن ما يلي :

- ١- اتخاذ المخطوطة أصلًا، وإثبات النص منها.
 - ٢- الاستعانة بالمطبوعة، لتقويم بعض العبارات وتصحيحها.
 - ٣- تعقب الأوهام والسقطات التي سبق إليها قلم الناسخ، وبيان وجه الصواب.
 - ٤- تفسير الغريب، من مفردات الكتاب وعباراته.
 - ٥- تخريج الآيات الكريمة.
 - ٦- تخريج الأحاديث الشريفة من الكتب المشهورة.
 - ٧- عزو الكلام المقتبس إلى مصادره الأصلية.
- وإنني، إذ أدفع بهذا الكتاب إلى الطباعة، أجاز إلى الله أن يجعله من خالص
أعمالي، وخيرها بركة وأجرًا، وهو حسبي ونعم الوكيل.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

موفق فوزي الجبر

دمشق الفيحاء

٢٣ رمضان ١٤١١هـ

١٢ نيسان ١٩٩١م



الورقة الأولى من المخطوطة ويظهر فيها عنوان الكتاب

ترجمة المؤلف
الإمام محمد بن عبد الرسول الحسيني (*)
[١٠٤٠-١١٠٣هـ] [١٦٣٠-١٦٩١م]

هو إمام الأئمة الأعلام، وقدوة الفضلاء، وحجة الإسلام السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني الموسوي الشافعي الشهرزوري المدني. ولد ليلة الجمعة الزهراء ثاني عشر ربيع الأول في قرية «برزنج» عام أربعين بعد الألف من الهجرة النبوية.

نشأ في حجر والده ودلاله، وأخذ عن جماعة من الأساتذة الأفاضل، وتحلى بلطائف المعاني وتعلم على يد الملا زيرك، والعلامة الملا شريف الصديقي الكوراني، ثم رحل إلى ماردين وحلب واليمن ودمشق والروم ومصر وبغداد، وأخذ في هذه البلاد عن كثير من العلماء الأئمة. وصحب العلامة الشيخ إبراهيم الكوراني، والعارف بالله الشيخ أحمد القشاشي، تصدّر للتدريس في الروضة، وأنبث فيها أزهار فضائله الباهرة، وانتفع به الأنام من الخاص والعام.

وقد برع في التصانيف والتأليف التي أتى فيها بالعجب العجيب، وسحر بحسن تحريرها الألباب، منها:

- أنوار السلسيل في شرح أسماء التنزيل.
- الضاوي على صبح فاتحة البيضاء.
- المصطلح على ألفية السيوطي.

(*) أنظر ترجمته في:

سلك الدرر: ٦٥/٤، مشاهير الكرد: ١٢٨/٢، تاريخ السلطنة: ٢٧٧-٢٨٠، فهرس المصنفين: ٢٤٧، مخطوطات الدار: ١/٢٩٢، الأعلام: ٢٠٣/٦-٢٠٤.

- مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود .
- الجاذب الغيبي إلى الجانب الغربي .
- خالص التلخيص .
- تحصيل الإمام .
- سداد الدين في الدرجات والنجاة للوالدين .

وغير ذلك مما يبلغ تسعين مؤلفاً ما بين مطول ومختصر، ومنظوم ومثثور.

توفي - رحمه الله تعالى - بالمدينة المنورة سنة مائة وثلاثة بعد الألف من الهجرة النبوية ظهر يوم الاثنين في داره بزقاق القشاشي، وكان له مشهد عظيم، ودفن بالبقيع في المقبر الشهيرة بمقبرة السادة البرزنجيين بين قبة سيدنا العباس وأهل البيت رضوان الله عليهم جميعين .

وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأحبابه . آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب^(١).

أحمد من أوضح منهاج الحق ، ونصب عليه في كل شيء دليلاً ، ووعده وعد الصدق لمن اتخذه وكليلاً ، ورضي به كفيلاً ، وجعل إبراهيم خليفة ، إنه كان أمة قانتاً واتخذة خليلاً ، وأمره ببناء بيت يقصده من كل فج عميق من استطاع إليه سبيلاً^(٢) ، تطبيقاً للصورة على المعنى وتنوياً بالمجاز إلى الحقيقة وتمثيلاً ، هداة علماً على طي بساط هذه النشأة وليبلو المؤمنين ، ويضل من يشاء تضليلاً^(٣) ، وجعل بدعوته من ذريته محمداً ﷺ عبداً سيّداً ونبيّاً رسولاً ، فهو دعوة أبيه إبراهيم ، كما أخبر عنه في الصحيح أن دعاءه كان مقبولاً.

أحمده على أن أتانا منه رسول أمين بكتاب كريم ، وأنه غفور رحيم ، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم ، وأنه لعلّ خلقي عظيم كما أخبر به العليّ الحكيم^(٤) وأمره باتباع ملة أبيه إبراهيم ، فأرسله بين يدي الساعة كالمُسَبِّحَةِ والوسطى نذيراً ، وأخبر عن جميع الفتن والأشرار الكائنة قبلها ، فاسأل به خبيراً ، فبلغ وبألف وحذر أمته الفتن عموماً والدجال خصوصاً تحذيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ووارثيه وإخوانه وأحبائه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) ساقطة من المطبوعة ومثبتة من المخطوطة .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج : ٢٨] . و﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٨] .

(٣) العبارة : «هداة علماً على . . . تضليلاً» ساقطة من المخطوطة ومثبتة من المطبوعة .

(٤) حيث قال تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ ، [القلم : ٥] .

أما بعد،

[فلما رأيتُ الحافظ جلال الدين أبا الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ذكر في خطبة كتابه الذي ألّفه في بيان حال البرزخ المسمّى بـ «شرح الصدور بشرح حال الموتى في القبور» وما نصّه، وأرجو إن كان في الأجل فسحة أن أضم إليه كتاباً إن شاء الله تعالى في أشراف الساعة، وآخر في أحوال البعث والقيامة وصفة الجنة والنار على وجه الاستيعاب أيضاً، حقق الله ذلك بمنّه وكرمه، انتهى.]

ووجدته قد ألّف في أحوال البعث وما بعده كتاباً وسماه «البدور السافرة في أمور الآخرة» ولم أجد له كتاباً في أشراف الساعة، إمّا لعدم تأليفه أو لانعدامه، أو لغير ذلك. فأحببت أن أولف^(١) في أشراف الساعة كتاباً مستوعباً لها كما أراد الحافظ السيوطي، فيكون برزخاً بين كتابيه: شرح الصدور والبدور والسافرة، أو مقدمة لهما، وتوكلت في ذلك على الله تعالى مستعيناً، فأقول^(٢): [قد قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿وَمَا يُذَرِّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٥) .

إلى غير ذلك من الآيات .

وأما الأحاديث فلا تكاد تنحصر كما سيأتي بعضها إن شاء الله تعالى . ولما كانت الدنيا لم تخلق للبقاء، ولم تكن دار إقامة، وإنما هي منزل من منازل الآخرة، جعلت للتزود منها إلى الآخرة، والتهيؤ للعرض على الله [ولقائه]^(٦)، وقد آذنت بالانصرام، وولت حذاء كان حقاً على كل عالم أن يشيع أشرافاً، ويث الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الأنام، ويسردها مرة بعد أخرى على العوام، فعسى أن ينتهوا عن بعض الذنوب، وتلين منهم بعض القلوب، وينتهوا من سنة الغفلة، ويغتنموا المهلة قبل

(١) أي أن أصنف وأكتب في هذا الموضوع .

(٢) العبارة بين القوسين المربعين ساقطة من المخطوطة .

(٣) سورة الأنبياء، الآية : ٢ .

(٤) سورة الشورى، الآية : ١٧ .

(٥) سورة محمد، الآية : ١٨ .

(٦) وردت في المطبوعة «بقاء» والصواب ما أثبتته عن المخطوطة .

[الوصلة]^(١). [٢] قد عاني ذلك إلى أن أبسط فيها القول بعض البسط، ولو أدى إلى التكرار، وأن أجمع فيها أوراقاً على سبيل الاختصار تبصرة لأهل الاغترار، وتذكرة لأولي الأبصار، ووسيلة إلى رضا الجبار، وذريعة إلى دار القرار، والله أسأل أن يخلص نيتي، ويحسن طويتي، فإنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى^(٣)، وأن ينفع به عامة المؤمنين، وأن يغفر لي ولآبائي ولإخواني طيناً وديناً أجمعين آمين.

وسمّيته [الإشاعة لإشراط الساعة] وأرجو من النبي الشفاعة مع قلة البضاعة فأقول: وفي ميدان نِعَمِهِ أجول، لا بدّ من مقدمة.

هي لما كان أمر الساعة شديداً وهولها مزيداً وأمدّها بعيداً، فإن الله في ذلك اليوم يحكم بين الأولين والآخرين، ويقضي للمؤمنين على الكافرين، ويميّز بين المخلصين والمنافقين، كما قال تعالى: ﴿سَنُفَرِّغُكُمْ أَتَيْهَا الثَّقَلَانِ﴾^(٤) وأنها لا تنجيء إلا بغتة كما قال تعالى^(٥)، وقد استأثر بعلمها^(٦) ولم يعلمها أحداً من خلقه، وعلمها النبي ﷺ، ونهاه عن الإخبار بها تهويلاً لشأنها وتعظيماً لأمرها، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها وضريرها^(٧) أكبر من خيرها، فأكثر النبي ﷺ من بيان أشراتها وأماراتها وما بين يديها من الفتن القريبة والبعيدة، [ليكون]^(٨) أهل كل قرن على حذر منها متهيبين لها بالأعمال [الصالحة]^(٩) غير [منهمكين]^(١٠) في الشهوات واللذات، فانقسمت الأمارات إلى ثلاثة أقسام:

(١) وردت في المطبوعة «الوهلة» وفي المخطوطة «الوصلة» والصحيح ما أثبت.

(٢) العبارة ساقطة من المخطوطة، وأثبتنا أولى لزيادة فهم المعنى.

(٣) إشارة إلى حديث رسول الله ﷺ، أنظر: [البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي]

إلى رسول الله ﷺ، رقم: ١. والجمل: «ولكل امرئ ما نوى» ساقطة من المخطوطة ومثبتة من المطبوعة.

(٤) سورة هود، الآية ١٠٣.

(٥) سورة القمر، الآية ٤٦.

(٦) سورة الرحمن، الآية: ٣٢.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٨].

(٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفِيِّهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

(٩) شرّها.

(١٠) وردت في المطبوعة «لكون» والصواب ما أثبتته من المخطوطة.

(١١) في المطبوعة «الصالحات» والصحيح ما أثبتته. (١٢) «منهمكي» في المطبوعة والصواب ما تم إثباته.

قسم ظهر وانقضى وهي الأمارات البعيدة .

- وقسم ظهر ولم ينقض ، بل لا يزال يتزايد ويتكامل حتى إذا بلغ الغاية ظهر .

- القسم الثالث ، وهي الأمارات القريبة الكبيرة التي تعقبها الساعة ، وإنها تتابع كنظام [خرز]^(١) انقطع سلكها .

فلنذكر كل قسم في باب على [حدة]^(٢) ، وهذا ترتيب لم أره لغيري ، ولعلّه أقرب إلى الضبط ، وأنفع للعوام إن شاء الله تعالى .

تنبيه :

المقصود الأصلي من تأليف هذا حفظ بعض الأحاديث النبوية على المسلمين رجاء شفاعته ﷺ ، فلذا نوانا إذا سقنا الروايات مساقاً واحداً لفهم العامة نكر عليه بسرد أحاديثها ، فقد يظن من لا خبرة له أنه تكرر ، وقد نوردها في موضعين لمناسبتها لكل منهما فليعلم ذلك لثلا يساء بالمؤلف الظن ، وبالله التوفيق .

(١) وردت في المخطوطة «فرز» والصواب ما تم إثباته من المطبوعة .

(٢) في المطبوعة «حدته» والصحيح ما أثبتته من المخطوطة .

الباب الأول

في الأمارات البعيدة التي ظهرت وانقضت

وهي كثيرة، فمنها موت النبي ﷺ؛ وهو من أعظم المصائب في الدين بل أعظمها، ومن ثم قال [النبي] ﷺ^(١): «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر [موتي]^(٢)» رواه ابن سعد عن عطاء بن أبي رباح.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من أصيب منكم بمصيبة من بعدي فليتعز بمصيبته بي عن مصيبته فإنه لن يصاب أحد من أمتي من بعدي بمثل مصيبته بي». رواه الطبراني في الأوسط^(٣).

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها ذكرت وفاة النبي ﷺ فقالت: «يا لها من مصيبة ما أصبنا بعدها من مصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ». رواه البيهقي^(٤).

وهو أول من^(٥) فتح باب الاختلاف حيث قالوا: منا أمير ومنكم أمير، عن عوف بن مالك رفعه قال: «أعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح [بيت]^(٦) المقدس . . .» الحديث.

وروى الطبراني^(٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا

(١) لفظة «النبي» ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «مصيبة» والصواب ما أثبت.

(٣) ٢٢٠ / ٣.

(٤) شعب الإيمان: ١ / ١٩٢.

(٥) أضفتها لاتمام المعنى.

(٦) وردت في المطبوعة «مبيت» والصحيح ما أثبت.

(٧) ١٣٢ / ٢.

عبد الله بن عمرو، ست خصال كائنه فيكم قبض نبيكم » الحديث .

وروى نعيم عن حذيفة رضي الله عنه حديثاً طويلاً منه، فقال: . . . هيهات هيهات ، والذي بعثني بالحق ليزيدونها يا حذيفة خصلاً ستاً ، أولهن موتي ، [قلت] (١) : إنا لله وإنا إليه راجعون . . . » الحديث .

وفي الصحيح ، ما نفضنا أيدينا من تراب قبر (٢) رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا .

« ومنها قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ففي صحيح البخاري أن عمر سأل حذيفة رضي الله عنهما عن الفتنة التي كموج البحر، فقال : يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال : أيفتح الباب أو يكسر؟ قال : لا بل يكسر، قال : ذاك أحرى أن لا يغلق، وفيه أن الباب هو عمر .

وروى الخطيب في الرواة عن مالك أن عمر دخل على امرأته أم كلثوم بنت [علي] (٣)، فوجدها تبكي، فقال : ما يبكيك؟ قالت : هذا اليهودي يقول : إنك باب من أبواب جهنم، فقال عمر : ما شئت الله ، ثم خرج فأرسل إلى اليهودي فجاءه فسأله عن قوله، فقال : يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده، لا ينسلخ [ذو] (٤) الحجة حتى تدخل الجنة، فقال : ما هذا؟ مرة في الجنة، ومرة في النار، فقال : إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها، فإذا مت اقتحموا .

وفي صحيح البخاري أن أبا وائل قال : قلنا لحذيفة، أعلم عمر من الباب قال : نعم كما يعلم أن دون غد الليلة لاني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، قال : فهبنا أن نسأله وأمرنا . . . روتاً فسأله، فقال : من الباب؟ قال : عمر .

(١) وردت في المخطوطة «قلنا» والصواب ما أثبتته المطبوعة .

(٢) لفظة «قبر» ساقطة من المخطوطة .

(٣) وردت في المخطوطة «عبدالله» والصواب ما أثبتته .

(٤) في المطبوعة «ذي» والصحيح ما أثبتته من المخطوطة .

وحاصل معنى هذه الأحاديث أنه ﷺ شبه مدة حياة عمر بحصن منيع فيه أهل الإسلام^(١)، وشبه شخص عمر باب ذلك الحصن، وفهم ذلك عمر وسأل حذيفة أيموت أم يقتل؟ فأخبره أنه يقتل، فقال: ذاك أحرى أن لا يغلق.

ورأى عمر رضي الله عنه في المنام أن ديكا أحمر نقره نقرتين أو ثلاثاً بين السرة والثنية^(٢) فقالت أسماء بنت عميس أم عبد الله بن جعفر: قولوا له فليوص فإنه يقتله رجل من الأعاجم، وكانت تعبر^(٣) الرؤيا.

وروى أبو يعلى والحاكم البيهقي^(٤) عن أبي رافع، قالوا: كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة ابن شعبة، وكان يصنع الرحي، وكان المغيرة يستغله^(٥) كل يوم أربعة دراهم، فلقي أبو لؤلؤة عمر، فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليّ، فكلمه يخفف عني، قال: اتق الله وأحسن إلى مولاك، ومنه نية عمر أن يلقي المغيرة فيكلمه فيخفف عنه.

وفي رواية أنه كلمه في أمره، ووصى به خيراً، وهو لا يدري، فغضب العبد، وقال: وسع الناس كلهم عدله غيري فأضمر على قتله، فاصطنع خنجراً له رأسان، وشحذه وسمّه ثم أتى به الهرمزان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته، فتحين^(٦) أبو لؤلؤة فجاء في صلاة الغداة، فخرج عمر بدرته يوقظ الناس لصلاة الصبح، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم فيقول: أقيموا صفوفكم، فذهب يقول كما كان يقول، فقام أبو لؤلؤة وراء عمر، فلما كبر طعنه ثلاث طعنات، طعنة في كتفه، وأخرى في خاصرته، وأخرى تحت سرتيه بين الشنة والسرة.

ومنها قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

وعن وهب بن مرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ ذكر فتنة، فقربها،

(١) وردت «أهل الإيمان» وسياق الكلام يتطلب ما أثنته.

(٢) منطقة تقع تحت الجذع.

(٣) تفسر الأحلام منه قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

(٤) أنظر: المستدرک: ١٤٥/٣، شعب الإيمان: ١٦٥/٢.

(٥) يعطيه أجره.

(٦) انتهز الفرصة.

فمر رجل مقنع في ثوب، فقال: هذا يومئذ على الهدى، فقامت إليه، فإذا هو عثمان رضي الله عنه.

[وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ^(١) لعثمان: إن الله مقمصك قميصاً، أي موليكَ الخلافة، فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه، حتى تلقاني^(٢).

[وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عثمان إنك تلي الخلافة من بعدي، وسيريدك المنافقون على خلعه فلا تخلعها، وصم في ذلك اليوم، تفطر عندي» رواه ابن عدي وابن عساكر^(٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدجال».

[وراد^(٤) ابن عساكر في روايته: «والذي نفسي بيده، ما من رجل في قلبه مثقال حبة من قتل عثمان إلّا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره».

وسبب قتله بالاختصار أنهم انتقدوا بعض الأمور منها: أنه ولّى محمد ابن أبي بكر مصر، [فلما كان في بعض الطريق]^(٥) فإذا بغلام عثمان على ناقته متوجهاً نحو مصر، فأتوا به فسألوه عن الخبر فلم يخبرهم، ففتشوه فلقوا معه كتاباً إلى العامل بمصر يأمره فيه بقتله، فرجع إلى المدينة فاجتمع عليه أربعة آلاف من أوباش مصر، [ورئيسهم ابن عديس وابن تميم]^(٦) وغيرهما، وسألوه عن الكتاب والغلام، فقال: لا علم لي به، فقالوا: إن هذا فعل مروان، وعرفوا خطه، وقالوا: فادفعه إلينا، فلم يفعل، فأرادوه على أن يعزل نفسه، فلم يفعل امتثالاً للحديث المار إن الله مقمصك قميصاً، [وكانوا لما هاجموا المدينة كان عثمان يخرج ويصلي بالناس، وهم يصلون خلفه شهراً، ثم خرج في آخر جمعة خرج فيها، فحصبوه حتى وقع عن المنبر، ولم يقدر أن يصلي بهم، فصلّى

(١) هذه العبارة ساقطة من المطبوعة ومثبتة من المخطوطة.

(٢) حتى تلقاني» هذه الجملة ساقطة من المطبوعة.

(٣) هذا الحديث ساقط من المخطوطة.

(٤) وردت في المطبوعة «زاد» بدون الواو العاطفة.

(٥) في المطبوعة: «فلما كان عليه في بعض الطرق» والصواب ما أثبتته.

(٦) هذه الجملة ساقطة من المخطوطة.

بهم يومئذ أبو أمانة سهل بن حنيف فمنعوه وكان يصلي ابن عديس تارة وكثانة بن بشر أخرى، فبقوا على ذلك عشرة أيام، وكان طلحة يصلي بهم، وأكثر ما كان، فصلّى بهم علي رضي الله عنه، وهو الذي صلى بهم العيد، فحاصروه قبل عشرة أيام، وقيل: أربعين يوماً، ويمكن الجمع بأن ثلاثين يوماً كان يخرج للصلاة، وعشرة شددوا عليه الحصار، ومنعوه من الخروج للصلاة^(١) فجاءت الأنصار إلى الباب، وقالوا: يا أمير المؤمنين إن شئت كنا أنصار الله مرتين فقال: لا حاجة لي في ذلك، كفوا إن رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً، وأنا صائر إليه، وجاء عليّ كرم الله وجهه في جماعة من بني هاشم، يريد نصره، فقال: كل من لي عهد في ذمته يكف [عن]^(٢) القتال، فأخذ علي عمامته، [ورمى]^(٣) بها في صحن داره، وقال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾^(٤) ومنعوه الماء العذب، فأرسل علي الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر في فئته من بني هاشم ثلاث قرب من الماء، فحالوا دونهم، فحملوا عليهم حتى جرح الحسن أو الحسين بن علي، [وسال]^(٥) الدم على وجهه، وأوصلوه الماء، فلما رأوا ذلك خافوا بني هاشم، وتركوا الباب، ونقبوا^(٦) البيت من ظهره، وكان عنده في الدار عبيده الكثيرون، فأرادوا أن يمنعوا عنه، فقال: من أعمد سيفه فهو حر؟ ومنعهم من ذلك، وكان ممن دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر، فذكر له بعض مناقبه في الإسلام، ويقول: أنشدك الله! ألم تعلم كذا! ألم تعلم كذا؟ وكل ذلك يقول محمد: نعم، ثم قال له: لو رأى أبو بكر مكانك هذا مني لساء ذلك، فخرج محمد، ودخل عليه جماعة فقتلوه في أواسط أيام التشريق، والمصحف بين يديه سنة خمس وثلاثين من الهجرة عن ثمان وثمانين سنة من العمر، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، ورأى في ليلته يوم قتل فيه النبي ﷺ قال له: «يا عثمان أفطر عندنا» فأصبح صائماً، وقتل وهو صائم.

روى ابن منيع في مسنده من طريق النعمان بن بشير عن نائلة بنت الفرافصة امرأة

(١) الكلام المقوس ساقط من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «على» والصحيح ما أثبتته.

(٣) في المخطوطة «فرمى».

(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٣.

(٥) في المخطوطة «فسال».

(٦) قال الفيومي في المصباح المنير: «نقبت الحائط ونحوه من باب قتل، خرقتة». مادة: [نقب].

عثمان، قالت: لما حصر عثمان ظل صائماً، فلما كان عند الإفطار سألهم الماء العذب، فمنعوه، فبات فلماً كان في السحر^(١)، قال: إن رسول الله ﷺ اطلع عليّ من هذا السقف، ومعه دلو من ماء، فقال: اشرب يا عثمان، فشربت حتى رويت، ثم قال: ازدد، فشربت حتى تملأت.

وروى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن مهاجر بن حبيب، قال: بعث عثمان إلى عبد الله بن سلام، وهو محصور، فقال له: ارفع رأسك ترى هذه الكوة، فإن رسول الله ﷺ أشرف منها هذه الليلة، فقال: يا عثمان أحصروك؟ قلت: نعم، فأدلى دلواً، فشربت منه فإني أجد برده على كبدي، ثم قال لي: إن شئت دعوت الله فينصرك عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت الفطر عنده، فقتل في يومه.

وفي تنوير الحوالك للسيوطي معزواً لابن باطيش في كتاب (مزيل الشبهات) عن عبد الله بن سلام، أنيئ عثمان وهو محصور، فقال: مرحباً يا أخي، رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة، فقال: يا عثمان حصروك، قلت: نعم، قال: عطشوك، قلت: نعم، فأدلى دلواً فيه ماء، فشربت حتى رويت، وحتى أفي لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، فقال: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده، فقتل ذلك اليوم.

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت صوتاً يوم قتل عثمان، أبشر يا ابن عفان [بروح]^(٢) ويريحان، أبشر يا ابن عفان برب غير غضبان، أبشر يا ابن عفان بغفران ورضوان، فالتفت فلم أر أحداً. رواه أبو نعيم.

وروى الطبراني^(٣) وأبو نعيم عن سهل بن حبيش قال: دفنا عثمان ليلاً فغشنا سواد من خلفنا فهبناهم، حتى كدنا أن نتفرق، فنادى مناد: لا روع عليكم أثبتوا فإننا جئنا لنشهد معكم، فكان يقول: هم والله الملائكة.

(١) قبيل الصبح.

(٢) وردت في المطبوعة «بروح» وهو تصحيف والصواب ما أثبتته.

(٣) ٢٦٠ / ١.

وروى أبو نعيم عن عروة قال : مكث عثمان في حش كوكب ثلاثاً لا يدفنه حتى هتف بهم هاتف : ادفنوه ولا تصلوا عليه ، فإن الله قد صلى عليه ، وكان الذين خرجوا عليه عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر أحد رؤوس الخوارج وآخرون ساروا بأهل مصر ، واجتمع عليهم خلق من أوباش الناس ، وقتل عبد الرحمن هذا وأصحابه بعد عام أو عامين بجبل لبنان .

وقد روى البيهقي^(١) وأبو نعيم أن النبي ﷺ قال : « يخرج أناس يهرقون^(٢) من الدين كما يهرق السهم من الرمية ، يقتلون في جبل لبنان » . أورده السيوطي في الخصائص .

وروى أبو نعيم عن عثمان بن مرة عن أمه قالت : سمعت الجن تنوح على عثمان فوق مسجد رسول الله ﷺ ثلاث ليال ، فكان مما قالوا :

يرمون بالصخر الصلاب	ليلة الحصبة إذ
يبغون صقراً كالشهاب	ثم جاؤوا بكرة
مجلس فكاك الرقاب ^(٣)	زينهم في الحي والـ

وكان عليّ حين قُتل في أرض له ، فجاءه الخبر فدهش من شدة ما سمع ، فجاء ولطم الحسن ، وضرب صدر الحسين ، وسبَّ عبدالله بن جعفر وابن الزبير ، وقال : أيقتل عثمان وأنتم أحياء ؟ فاعتذروا إليه^(٤) بأنهم ما علموا ، وصح أنه أشرف من كوة ، فقال لعلي رضي الله [عنه]^(٥) : يا أبا الحسن ما هذا الذي ركب متني ، فقال : أصبر يا أبا عبدالله ، فوالله ما غبت عن رسول الله ﷺ حين كنا على أحد ، فتحرك الجبل ، ونحن عليه ، فقال : اثبت أحد ، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ، وإيم الله لتقتلن ولأقتلن معك أي بعدك ، وليقتلن طلحة والزبير ، وصح أنه استشهد جماعة من الصحابة منهم عليّ وطلحة والزبير على أنه اشترى الجنة من النبي ﷺ مرات ، فشهدوا

(١) انظر : شعب الإيمان ٢٢٠ / ٣ .

(٢) قال الفيومي في المصباح المنير : « مرق السهم من الرمية مروقاً من باب خرج منه من غير مداخلة . . . » مادة : [مرق] .

(٣) هذا الكلام كله المحصور بين قوسين مربعين ساقط من المخطوطة .

(٤) «إليه» ساقطة من المطبوعة .

(٥) وردت في المخطوطة «عنها» وهذا تصحيف .

له، فقال الخارجون عليه: صدقوا ولكنك غيّرت، فقال: ويلكم! كيف يغير من هذا حاله، ثم ذكر أنهم سيقولون ذلك غيره أيضاً، وكان كذلك فإنهم قالوا في عليّ حين خرجت عليه الخوارج، فاستشهد الصحابة في خصوصياته، فشهدوا له، فقالوا: صدقوا، ولكنك غيّرت.

ومنها وقعة الجمل:

روى الحاكم^(١) عن عليّ وطلحة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال للزبير: «أتحب علياً أما إنك ستخرج عليه، وتقاتله، وأنت له ظالم».

وروى هو وأحمد^(٢) عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال لها: «كيف ياحداكن إذا نبحتها كلاب الحوآب».

[وروى ابن أبي شيبة^(٣) والبخاري بسند رجال له ثقات عن ابن عباس [والحاكم من حديث قيس بن أبي حازم]^(٤) أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن صاحبة الجمل الأذيب» [تسير]^(٥) أو تخرج حتى تنبها كلاب الحوآب يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت.

وروى أحمد والطبراني^(٦) عن أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعلي: «سيكون بينك وبين عائشة أمر ما قال: فأنا أشقاهما يا رسول الله، فقال: ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها».

وروى نعيم بن حماد في الفتن بسند صحيح عن طاووس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن تنبها كذا وكذا، فضحكت عائشة متعجبة، فقال: انظري، لا تكوني أنت يا حيراء».

(١) انظر: المستدرک: ٧٥ / ٣.

(٢) انظر: المسند: ٢١٠ / ٤.

(٣) هذه الجملة ساقطة من المخطوطة.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

(٥) هذه الكلمة ساقطة من المخطوطة.

(٦) انظر: المسند: ١٥٠ / ٣، ١٤٥ / ٢.

وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت: ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة، فقال: انظري يا حميراء، [أن لا تكوني أنتِ ثم التفت إلى عليّ، فقال: إن وليت من أمرها شيئاً فافرق بها. رواه الحاكم^(١) وصححه البيهقي.

وعن حذيفة إنه قال: لو حدثتكم أن بعض أمهات المؤمنين تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني، قالوا: سبحان الله، ومن يصدق بهذا قال: أتتكم الحمراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها. رواه الحاكم^(٢) وصححه البيهقي.

وقال: أخبر بهذا حذيفة، ومات قبل مسير عائشة^(٣). وسبب ذلك، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: قد جمع عمر بن شبة في كتاب (أخبار البصرة) قصة الجمل مطوّلة، وهما أنا ألخصها، وأقتصر على ما أورده بسند صحيح أو حسن، انتهى فنذكر حاصله هنا مختصراً، وهو أنه لما كان الغد من قتل عثمان، خرج عليّ رضي الله عنه، ومعه سفيان الثقفي، فدخل المسجد فإذا جماعة على طلحة، فخرج أبو جهم بن حذيفة، فقال: يا عليّ ألا ترى، فلم يتكلم ودخل بيته، فأتى شريد^(٤) فأكل، ثم قال: يقتل ابن عمي، ويغلب على ملكه، فخرج فأتاه الناس، وهو في سوق المدينة، فقالوا: أبسط يدك نبايعك، فقال: حتى يتشاور الناس، فقال بعضهم: لئن رجع الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقيم بعده قائم لم يؤمن الاختلاف وفساد الأمة، فأخذ الأشر بيده فبايعوه، وذهب إلى بيت المال ففتحه، فلما تسامع الناس، تركوا طلحة فلم يعدلوا به طلحة ولا غيره، ثم أرسل إلى طلحة والزبير فبايعاه ثم إنهما ندما على خذلان عثمان، فطلبوا أن يقتل قتلة عثمان فلم يجبهما، وذلك لأن قاتله كان غير معلوم، وكان ينتظر أولياء عثمان أن يتحاكموا إليه، ثم استأذناه في العمرة، فأخذ عليهما العهود، وأذن لهما فلقيا عائشة فاتفقا معها على الطلب بدم عثمان. وكان يعلى بن أمية عامل عثمان على صنعاء، وكان عظيم الشأن عنده، وكان متمولاً، فقدم حاجاً فأعانها بأربعمائة ألف، وحمل سبعين رجلاً من قريش، واشترى لعائشة جملًا يقال له: «عسكر» بشانين ديناراً،

(١) انظر: المستدرک: ٣/ ١٣٦.

(٢) انظر: المستدرک: ٣/ ١٨٥.

(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٤) الشريد: خبز مفتت ومبلل بالمرق.

وكان علي رضي الله عنه يقول: أتدرون بمن ابتليت بأطوع الناس في الناس عائشة، وأدهى الناس طلحة، وأشد الناس الزبير، وأثرى الناس يعلى بن أمية، فتوجهوا إلى البصرة، فنزلوا بعض مياه بني عامر، فنبحت الكلاب، فقالت عائشة: أي ماء هذا؟ قالوا: الخَوَاب أي بفتح المهملة وسكون الواو بعدها همزة، ثم موحدة بوزن كوكب^(١). قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال لها الزبير: بل تقدمين، فإراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. [قالت: ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله ﷺ يقول: كيف بإحداكن إذا نبحت كلاب الخوَاب. رواه أحمد^(٢) وأبو يعلى والبزار والحاكم^(٣) والبيهقي وأبو نعيم عن قيس، قال: لما بلغت عائشة بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فذكره]^(٤). فقدموا البصرة، فتعجب الناس، وسألوهم عن مسيرهم، فذكروا أنهم خرجوا غضباً لعثمان، وتوبة لما صنعوا من خذلانه، وقبضوا على عامل علي عليها [ابن حنيف]^(٥)، وأقبل علي لما سمع بخروجهم من المدينة، ومعه تسعمائة راكب، فنزل بذي قار^(٦)، فبلغه أن أهل البصرة اجتمعوا لطلحة والزبير، فشق ذلك على أصحابه، فقال: والذي لا إله غيره لنظهرن على أهل البصرة، ولنقتلن طلحة والزبير، وبعث ابنه الحسن وعماراً إلى أهل الكوفة يستفزهم فدخلوا المسجد، وصعدا المنبر، وكان الحسن في أعلى المنبر، وقام عمار أسفل منه، فتكلم عمار، وقال: إن أمير المؤمنين بعثنا إليكم يستفزكم فإن أمتنا قد [سارت]^(٧) إلى البصرة، والله إني أقول لكم هذا والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلانا ليعلم إياه نطيع أو إياها، وقال الحسن: إن أمير المؤمنين يقول: إني ذاكر الله رجلاً وعي الله حقاً إلا نفر فإن كنت مظلوماً أعانني، وإن كنت ظالماً أخذ مني والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني ثم نكثا ولم [استأثر]^(٨) بهال، ولا

(١) ذكره الفهرزآبادي في القاموس: «موضع بالبصرة» وقال الدميري: «نهر بقرب البصرة».

(٢) انظر: المسند: ٩٥/٤.

(٣) انظر: المستدرک: ٢١٠/٣.

(٤) هذه العبارة ساقطة من المخطوطة.

(٥) في المخطوطة «ابن الأحنف» والصواب ما أثبتته.

(٦) موضع جرت فيه معركة بين العرب والفرس.

(٧) في المخطوطة «سارت» والصحيح ما أثبتته.

(٨) في المطبوعة «استأثر» والصواب ما أثبتته.

بدلت حكماً، فخرج إليه اثنا عشر ألف رجل، ولما قدم قام إليه قيس بن سعد بن عبادة وابن [الكوا] ^(١)، فقالا: أخبرنا عن مسيرك هذا أوصية أوصاك به رسول الله ﷺ أم رأي رأيت، فقال: أما والله لئن كنت أول من صدق رسول الله ﷺ فلا أكون أول من كذب عليه والله لأن يكون عهد من رسول الله ﷺ ^(٢) إلى فلان ولكن ما مات رسول الله فجأة ولا قتل قتلاً، ولقد مكث في مرضه أياماً وليالي كل ذلك يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة، فيقول: مروا أبا بكر فليصل بالناس، ولقد تركني وهو يرى مكاني، وما كنت غائباً ولو عهد إلي شيئاً لقمتم به حتى أن امرأة من نسائه عارضت في ذلك، فقالت: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس، فلو أمرت عمر فليصل بالناس، فقال: إنكن [صواحب] ^(٣) يوسف، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرنا، فإذا رسول الله قد ولاه أمر ديننا فوليناه أمر دينانا، فبايعته في المسلمين، ووفيت بيعته ثم بايعت عمر، ووفيت بيعته، ثم بايعت عثمان، ووفيت بيعته، فعدا الناس عليه فقتلوه، وأنا معتزل عنهم ثم ولوني ولولا الخشية على الدين ما أجبتهم ثم وثب فيها من ليس سابقته كسابقتي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي، يعني معاوية، قالوا: صدقت، فأخبرنا عن قتالك لهذين صاحبك في بدر وحديبية وأحد، وأخوك في الدين، والسابقة والهجرة، يعني طلحة والزبير. فقال: إنما بايعاني بالمدينة وخلعاني بالبصرة، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر خلعه لقاتلناه [ولو أن رجلاً ممن بايع عمر خلعه لقاتلناه] ^(٤) ثم دعاهم ثلاثة أيام حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح، وذلك أن قتلة عثمان كانوا متفرقين في العسكرين، فخشوا أن [يصطلحوا] ^(٥) على قتلهم، فأنشبو الحرب، فتساب صبيان العسكرين، ثم تراموا ثم تبعهم العبيد ثم السفهاء، فصللى عليّ ركعتين، ودعا ^(٦) ربه ثم قال: إن ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، وانظروا ما حضرت به الحرب من آتية

(١) في المخطوطة «اللو».

(٢) لفظة الصلاة على النبي ساقطة من المخطوطة.

(٣) وردت في المطبوعة «صاحب» والصواب ما أثبت.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

(٥) وردت في المخطوطة «يصطلحوا» والأولى ما أثبت.

(٦) في المطبوعة «فصلى ركعتين دعا ربه» والصحيح ما أثبت ليتيم فهم الجملة.

فأقبضوه، وما كان سوى ذلك فهو لورثتهم، ونادى علي الزبير، وقال: تعال ولك الأمان، فخلا به، وقال: أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ: وأنت لا يدي لتقاتلنه، وأنت له ظالم، ثم لينصرون عليك، قال: لقد [ذكرتني] ^(١) شيئاً أنسانيه الدهر، لا جرم لا أقاتلك، فقال له ابنه: ما جئت للقتال، إنما جئت للصلح، فأعتق غلامك، ووقف فلما رأى الحرب نشبت، وآيس من الصلح، خرج عن العسكرين، فغلب أصحاب أمير المؤمنين علي، وبلغت القتل ثلاثة عشر ألفاً، وقتل طلحة.

روى الحاكم عن ثور بن مجزاة قال: مررت بطلحة يوم الجمل في آخر رمق فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أصحاب أمير المؤمنين علي، فقال: ابسط يديك أبايعك، فبسطت يدي فبايعني، [فقال] ^(٢) هذا بيعة علي، وفاضت نفسه، فاتيت علياً، فأخبرته، فقال: الله أكبر صدق رسول الله ﷺ، أبى الله أن يدخل طلحة الجنة إلا ويبعني في عنقه ^(٣)، ثم جمع الناس وبايعهم.

وانتهى عبدالله بن يزيد بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة، وهي في الهودج فقال: يا أم المؤمنين أتعلمين أي أتيتك عندما قتل عثمان، فقلت: ما تأمريني، فقلت: الزم علياً، فسكت، فقال: اعقروا الجمل فعقروه، فنزل محمد بن أبي بكر أخوها، ورجل آخر فاحتملا هودجها فوضعا بين يدي علي [وأنه كالقنفذ من السهام، فسألها محمد هل أصابك شيء منها، فقالت لا، وأمر علي كرم الله وجهه أخاها محمداً وعماراً أن يضربا عليها قبة، ففعلا فجاء إليها علي مسلماً، فقال: كيف أنت يا أم؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لك، وجاء وجوه الناس والأعيان يسلمون عليها، فلما كان الليل دخلت البصرة ومعها أخوها، ونزلت في دار عبد الله بن خلد، وهي أعظم دار بالبصرة على صفية بنت الحارث بن أبي طلحة العبدري، وهي أم طلحة الطلحات، وأقام علي رضي الله عنه بظاهر البصرة ثلاثاً ثم دخلها، فبايعه أهلها أجمعون حتى الجرحى، وعرض على أبي بكر إمارة البصرة، فامتنع وأشار عليه بآب بن عباس رضي الله عنهما، فولّى عليها ابن عباس ثم جاء إلى أم المؤمنين رضي الله عنها فاستأذن عليها، ودخل وسلم

(١) وردت في المطبوعة «ذكرتني»، والصواب ما أثبتته.

(٢) وردت في المخطوطة «وقال»، والصحيح ما أثبتته.

(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

عليها، [فردت]^(١) السلام، ورَّحبت به، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن بالبواب رجلين ينالان من عائشة، فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة، وأن يجردهما من ثيابهما، ولما رأت الخروج من البصرة بعث إليها علي رضي الله عنه بكل ما ينبغي من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك، وأذن لمن نجا من الجيش الذي معها أن يرجع إلا أن يحب المقام، وأرسل معها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وسيرَ معها أخاها محمداً، فلما كان اليوم الذي ارتحلت فيه جاء عليّ، فوقف على الباب، وحضر الناس، وخرجت من الدار في الهودج، فودّعت الناس، ودعت هم، وقالت: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض إنه والله ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وأنه لمن الأخيار، فقال عليّ رضي الله عنه: صدقت والله ما كان بيني وبينها إلا ذلك وأنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، وسار معها مشيعاً أميالاً، وسرح بنيه معها بقية ذلك اليوم. ذكر هذا الفضل الحافظ عماد الدين ابن كثير في تاريخه، وهذا ما ملخصه، وفعل ذلك معها إكراماً لرسول الله ﷺ لقوله المار: إذا كان ذلك فارددها إلى أمنها وأداء لحق الأمومة فإنها أم المؤمنين بنص الكتاب العزيز، فتلطف بها غاية التلطف ولم يعنفها ولم يوبخها بل أكرمها وردها وقصدها في مسيرها ذلك إلى مكة، فأقامت بها إلى أن حجت عامها ذاك ثم رجعت إلى المدينة^(٢) ولما وني الزبير تبعه عمرو بن [الجرموز]^(٣)، فقتله وجاء بسيفه إلى عليّ فأخذه فنظر إليه، وقال: أما والله لرب كربة قد فرجها صاحب هذا السيف على وجه رسول الله ﷺ، واستأذن عليه ابن الجرموز، فأبطأ عليه الإذن، فقال: أنا قاتل الزبير، فقال: أبقت ابن صفية يفتخر، فليتبوأ مقعده^(٤) بالنار، إنه حوارى رسول الله ﷺ^(٥)، سمعت رسول الله ﷺ يقول: قاتل ابن صفية في النار، وجاء عمر بن طلحة علياً، فقال: مرحباً يا ابن أخي، إني لم أقبض مالكم لآخذه، ولكن خفت عليه من السفهاء، انطلق فخذ مالك إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من

(١) وردت في المخطوطة «وردت».

(٢) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٣) وردت في المطبوعة «جرموز» والصحيح ما أثبت.

(٤) ساقطة من المخطوطة والمطبوعة، وأثبتها ليطم فم معنى الجملة.

(٥) ساقطة من المخطوطة والمطبوعة وأثبتها لإيجاب وضعها

غل إخواننا على سرر متقابلين»^(١) ثم أمر ابن عباس على البصرة، ورجع إلى الكوفة.

عن عروة قال: قلت لعائشة: من كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: عليّ ابن أبي طالب، قلت: ما سبب خروجه عليه؟ قالت: لم تزوج أبوك أمك؟ قلت: ذلك من قدر الله، قالت: وكان ذلك من قدر الله، وذكر لها مرة يوم الجمل، قالت: والناس يقولون يوم الجمل! قالوا: نعم، قالت: وددت أني جلست كما جلس غيري، فكان أحب إليّ من أن أكون ولدت من رسول الله عشرة كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

[وعن أبي بكره قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم هلكى لا يفلحون قائدهم امرأة قائدهم في الجنة» رواه البزار والبيهقي]^(٢).

وعن أبي [البخري]^(٣) قال: سئل عن أهل الجمل أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

ومنها وقعة صفين:

وقد صرّح، لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة.

وعن عطاء بن السائب قال: حدثني غير واحد أن قاضياً من قضاة الشام أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معها نصفين، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٤).

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

(٢) هذا الحديث الموضوع بين قوسين مربعين ساقط من المخطوطة.

(٣) في المطبوعة «البحري» وهو تصحيف.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

قال عطاء : فبلغني أنه قتل مع معاوية يوم صفين ، [وسبها] ^(١) بالاختصار، إنه لما قتل عثمان ، وبويع عليّ أرسل إلى معاوية أن يدخل فيما دخل فيه المسلمون ، ويعزل عن العمل ، وكان عاملاً لعمر ثم لعثمان على الشام ، وكان يرجو أن يبقيه عليّ على عمله ، وقد كان الحسن بن عليّ وابن عباس وغيرهما أشاروا عليه بإبقائه على الشام حتى يأخذ له البيعة ثم [يقول] ^(٢) فيه ما شاء ، فقال : هيهات لو علمت أن المداينة تسعني في دين الله لفعلت ، ولكن الله لم يرص لأهل القرآن بالمداينة ، فبلغ معاوية فحلف أنه لا يلي لعلي عملاً أبداً ، وكان عمرو بن العاص على مصر ، فعزله أيضاً ، فاجتمع عمرو ومعاوية ، واتفقا على الخروج .

وقد روى الطبراني عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص [معاً] ^(٣) ففرّقوا بينهما» وكان شداد إذا رآهما جالسين على فراش جلس بينهما ، ولما فرغ عليّ من الجمل ، ورجع إلى الكوفة ، أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، فامتنع ، فقال له أبو مسلم الخولاني : أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله ، قال : لا وإني لأعلم أنه أفضل ، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه ، فأتوا علياً فقولوا له أن يدفع لنا قتلة عثمان فأجاب أهل الشام ، فأرسل إليه معاوية أبا مسلم يطلب بدم عثمان وإنه وليه وابن عمه ، قال : يدخل في البيعة كما فعل الناس ثم يحاكمهم إليّ ، فتجهز معاوية من الشام وعليّ من الكوفة فالتقيا بصفين فتقاتلوا قتالاً شديداً حتى بلغت القتلى ثلاثين ألفاً ، فلما رأى أصحاب معاوية منهم العجز ، قال عمرو لمعاوية : أرسلوا إلى عليّ بالمصحف ، وادعوه إلى كتاب [الله] ^(٤) فإنّ علياً يجيبكم إلى ذلك ، ففعلوا فقال عليّ رضي الله عنه : نعم نحن أحق بالإجابة إلى كتاب الله ، فقال [النفر] ^(٥) الذين صاروا بعد ذلك خوارج يأمر المؤمنين ما ننظر من هؤلاء ، ألا نمشي عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا ،

(١) وردت في المخطوطة «وسبها» وهو تصحيف .

(٢) وردت في المطبوعة «يفعل» .

(٣) في المطبوعة «جميعاً» .

(٤) ساقطة من المخطوطة .

(٥) وردت في المطبوعة «القراء» والصحيح ما أثبتته .

فقال سهل بن [حنيف]^(١): يا أيها الناس اتهموا رأيكم، فال الأمر إلى التحكيم، فحكم عليّ أبا موسى بعد أن أراد أن يحكم ابن عباس فمنعه أهل الكوفة، وحكم معاوية عمرو ابن العاص، فاتفق الحكمان على أن يخلع كل منهما صاحبه، وكان عمرو داهية، فقدم أبا موسى، فخلع علياً، ثم قام عمرو فقال: إن أبا موسى خلع علياً وإني نصبت معاوية، فاختلف الناس وأخذ أبو موسى يسبّ عمراً، ويقول: إنك غدرت فرجع عليّ إلى الكوفة ومعاوية إلى الشام، ثم تجهز عليّ لقتال أهل الشام مرة بعد أخرى فشغله أمر الخوارج ثم تجهز في سنة تسع وثلاثين فلم يتهياً ذلك لافتراق آراء أهل العراق عليه، ثم وقع الجدل منه في ذلك سنة^(٢) أربعين، وجعل على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة، وكانوا أربعين ألفاً يابعوه على الموت، [فقتل]^(٣) عليّ، وكان ما قدر الله.

[وعن عروة بن رويم، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: صارني فقام إليه معاوية فقال: أنا أصارحك، فقال النبي ﷺ: لن يغلب معاوية أبداً، فصرع الأعرابي، فلما كان يوم صفين قال عليّ كرم الله وجهه: لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية. رواه ابن عساکر]^(٤).

وعن يزيد بن الأصم قال: سئل عليّ عن قتلى يوم صفين؟ فقال: قتلانا وقتلاهم في الجنة، ويصير الأمر إلّاي وإلى معاوية.

وعن [المسيب]^(٥) بن تحية قال: أخذ عليّ بيدي يوم صفين، فوقف على قتلى أصحاب معاوية فقال: يرحمكم الله، ثم مال إلى قتلى أصحابه فترحم عليهم بمثل ما ترحم على أصحاب معاوية، فقلت: يا أمير المؤمنين استحللت دماءهم ثم ترحم عليهم؟ قال: إن الله جعل قتلنا إياهم كفارة لذنوبهم.

وعنه كرم الله وجهه قال: من كان يريد وجه الله منا ومنهم نجاً، وما أحسن ما

(١) وردت في المخطوطة «حيف» وهو تحريف.

(٢) وردت هذه العبارة هكذا «في ذلك في سنة أربعين . . .» فتم حذف «في» للترار.

(٣) وردت في المطبوعة «قتل» وهو تصحيف.

(٤) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٥) وردت في المطبوعة «المسيب» وهو تصحيف.

أخرج ابن عساكر قال: جاء رجل إلى أبي زرعة الرازي فقال: إني أبغض معاوية قال: لم؟ قال: لأنه قاتل علياً بغير حق، فقال أبو زرعة: رب معاوية رب رحيم، وخصمه خصم كريم، فما دخولك بينهما.

ومنها وقعة [النهروان]^(١):

عن مخنف بن سليم قال: أتينا أبا أيوب فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إن رسول الله ﷺ أمرنا بقتال [الناكثين]^(٢) والقاسطين والمارقين فقد نازلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل إن شاء الله المارقين. رواه ابن جرير.

وفي رواية أبي صادق عنه عهد إلينا رسول الله ﷺ أن نقاتل مع علي الناكثين فقد قاتلناهم - يعني أهل الجمل - وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم - يعني معاوية وأصحابه - وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين فلم أرهم بعد.

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن علي رضي الله عنه أنه أوصى حين ضربه ابن ملجم في وصيته أن رسول الله ﷺ أخبرني بما يكون من اختلاف أمته بعده وأمرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين، وأخبرني بهذا الذي أصابني وأخبرني أنه يملك معاوية وابنه يزيد ثم يصير إلى بني مروان يتوارثونها، وإن هذا الأمر صائر إلى بني أمية إلى بني العباس، وأراني التربة التي يقتل به الحسين^(٣).

وعن أبي سعيد مرفوعاً^(٤) أنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، لأن أدركتهم لأقتلهم قتل عاد وثمود.

وعن أبي ذر نحوه، وزاد: هم شر الخلق والخليقة.

(١) وردت بالمخطوطة «نهروان» بدون تعريف وقد رأيتُ تعريفها أقوى.

(٢) في المطبوعة «الناكثين» بالشين، والصواب بالثاء.

(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٤) لفظة «مرفوعاً» ساقطة من المخطوطة.

وعن عليّ نحوه، وزاد: فاقتلوههم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة .
وعن أنس نحوه، وزاد: طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب الله، وليسوا منه،
من قاتلهم كان أولى بالله منهم سيئاهم التحليق .

وعن عليّ أيضاً نحوه، وزاد: لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على
لسان نبيهم لنكلوا عن العمل، وآية ذلك، أن فيهم رجلاً له عضد ليس فيه ذراع على
رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات [بيض]^(١).

وعن أبي سعيد تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين فيقتلها أولى الطائفتين بالحق .

أقول: وفي هذا دليل على أن أصحاب معاوية ما خرجوا عن الإسلام، بل لم يفسقوا
لأنهم مجتهدون وأنهم مخطئون في اجتهداهم، وإن أمير المؤمنين علياً وأصحابه كانوا أولى
بالحق لأنه الذي قتلهم، وقد صرح به في رواية ابن عمرو يقتلهم عليّ بن أبي طالب
والأحاديث في الخوارج كثيرة لا تكاد تنحصر.

وسبب وقعتهم بالاختصار إنهم لما حكموا الحكمين، قالت القراء: كفر عليّ وكفر
معاوية فاعتزلوا أمير المؤمنين، ونزلوا بحروراء بضعة عشر ألفاً، فأرسل إليهم ابن عباس
يناشدهم الله ارجعوا إلى خليفتكم فبم نقضتم عليه في قسمة أو قضاء، قالوا: نخاف
أن ندخل في الفتنة، قال: فلا تعجلوا ضلالة العام مخافة فتنة عام قابل، فرجع بعضهم
إلى الطاعة .

وقال بعضهم: نكون على ناحيتنا فإن قبل القضية من التحكيم قاتلناه على ما قاتلنا
عليه أهل الشام بصفين، وإن نقضها قاتلنا معه، فساروا حتى قطعوا النهر، وافتقت
منهم فرقة يقتلون الناس، فقال أصحابهم ما على هذا فارقنا علياً فلما بلغ علياً صنعهم،
وكان متجهزاً إلى الشام، قام فقال: أتسيرون إلى عدوكم أو ترجعون إلى هؤلاء الذين
خلفوكم في ديارهم؟ فقالوا: بل نرجع إليهم، فقال: ابسطوا عليهم فوالله لا يقتل منكم
عشرة ولا [ينجوا]^(٢) منهم عشرة، فكان كذلك فقال كذلك، فقال: اطلبوا رجلاً صفته

(١) وردت بالمطبوعة «أبيض» والصواب ما أثبتته .

(٢) وردت في المخطوطة «يفر» وهو تصحيف ..

كذا وكذا فطلبوه فلم يجدوه ثم طلبوه فوجدوه على النعت الذي ذكره رسول الله ﷺ، فقال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأحنا منهم، فقال عليّ: كلا والذي نفسي بيده إن منهم لمن في أصلاب الرجال لم تحمله النساء بعد، وليكونن آخرهم لصاصاً جرادين.

وروى عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: يخرج ناس من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم^(١) كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم يخرج مع المسيح الدجال.

وعن [ابن عمر]^(٢): من قتله الحرورية فهو شهيد.

وعن الحسن قال: لما قتل علي الحرورية، قالوا: من هؤلاء يا أمير المؤمنين أكفارهم؟ قال: من الكفر فروا، قيل: فمنافقون، قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، قيل: فما هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها [وصموا]^(٣) من بقايا هؤلاء القرامطة، وهم الباطنية والإسماعيلية، وفتنتهم مشهورة أهلکوا العباد، وأفسدوا البلاد، وستأتي الإشارة إليهم.

ومنها نزول أمير المؤمنين الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنهما:

روى نعيم عن سفيان قال: أتيت الحسن بن علي رضي الله عنه بعد رجوعه إلى المدينة فقلت له: يا هلاك المؤمنين فكان مما احتج به علي [أنه]^(٤): قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم^(٥)، ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع، وهو معاوية، فعلمت أن أمر الله واقع.

[وروى الديلمي عن الحسن بن عليّ قال: سمعت علياً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك معاوية]^(٦).

(١) جمع ترقوة. قال الفيومي: «وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين...» مادة: [ترق].

(٢) وردت في المطبوعة «ابن عمرو» والصواب ما أثبت.

(٣) وردت في المخطوطة والمطبوعة «ضموا» بالضاد، والصحيح ما أثبت.

(٤) وردت في المطبوعة «أن» والصواب ما أثبت.

(٥) حلقة الدبر.

(٦) هذا الحديث من المخطوطة.

قال في النهاية : السرم [الدبر]^(١)، والضخم العظيم ، ومعناه الشديد الذي يملك الأرض كلها ، أهو على حقيقته فإن معاوية دعا عليه النبي ﷺ أن لا يشبع الله بطنه فلم يشبع بعد .

[روى مسلم والبيهقي^(٢) واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ادع لي معاوية ، فقلت : إنه يأكل ، فقال : في الثالثة لا أشبع الله بطنه ، فما شبع بطنه أبداً » .

أورده السيوطي في الخصائص .

وقد كان سليمان بن عبد الملك من بني أمية كذلك يأكل ولا يشبع فيحتمل أن يكون المراد في الحديث والله أعلم^(٣) .

وعن عامر بن ياسر قال : إذا رأيتم الشام قد اجتمع أمره على ابن أبي سفيان فالحقوا بمكة .

وروى ابن عساكر والطبراني عن عائشة أن النبي ﷺ قال لمعاوية : إن الله ولأك أمر هذه الأمة فانظر ما أنت صانع ؟ قالت أم حبيبة : أوعطي الله أخي يا رسول الله قال : نعم ، وفيها هنات هنات وهنات .

وروى أحمد^(٤) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل ، قال معاوية : فما زلت أظن أني مبتلى بعمل لقول النبي ﷺ حتى ابتليت^(٥) .

وسببه أنه لما رجع علي من قتال الخوارج وتجهز للشام ، كما مر ، قتل في [السابع]^(٦) عشر شهر رمضان ، وهو خارج لصلاة الصبح قتله أشقى الآخرين اللعين عبد الرحمن

(١) وردت في المطبوعة «الدير» بالياء . وهو تصحيف .

(٢) انظر : شعب الإيثار : ١١٥ / ٤ .

(٣) هذا الكلام ساقط من المخطوطة .

(٤) انظر : المسند : ٢٠٥ / ٤ .

(٥) هذا الحديث ساقط من المخطوطة .

(٦) وردت في المخطوطة «سابع» والصواب «السابع» .

ابن ملجم ضربه بسيف مسموم على جبهته فأوصله دماغه ليلة الجمعة السابع عشر من^(١) رمضان سنة أربعين فبويع للحسن بالخلافة، فسار الحسن إلى معاوية بكتائب أمثال الجبال يريد الشام، وخرج إليه معاوية يريد الكوفة، وأرسل عبد الله بن عامر وعبد الله بن سمرة إلى الحسن رضي الله عنه يطلب الصلح، فقال الحسن: إني أحقن دماء المسلمين، وأنزل عن الخلافة لمعاوية، ولكن إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال - أي جبلنا على الكرم والتوسعة - على أتباعنا صار لنا عادة فلا نقدر على القلة وإن هذه الأمة قد عانت في دماؤها أي العسكرين الشامي والعراقي قد قتل بعضهم من بعض فلا يكفون إلا بالصفح وعدم الانتقام قالوا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لي بهذا؟ قالوا: نحن لك به، فكتب إليه معاوية أن اطلب ما شئت واشترط فإني أوفي لك بذلك، وأرسل إليه ورقاً بياضاً وختم في أسفله، وقال: اكتب فيه ما شئت فشرط الحسن أشياء منها: أن يكون له بيت مال الكوفة، وأن يكون له [خراج]^(٢) [دار]^(٣) أبي جرد، وأن تكون الخلافة بعد معاوية له ولأخيه الحسين.

وفي رواية: تكون للمسلمين يولون من شاؤوا وأن لا يتعرض لأهل العراق ولا ينتقم منهم فنزل الحسن، وبايعه، فقال معاوية: تكلم يا حسن، فقام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بأخرنا، وإن معاوية نازعني أمراً أنا أحق به منه، وإني تركته حقناً لدماء المسلمين، وطلباً لما عند الله فشهد جماعة من الصحابة أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول للحسن: إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين يكون بينهما قتلة عظيمة، وسميت تلك السنة سنة الجماعة لاجتماع الناس ورفع القتال بينهم.

وعن الحارث قال: لما رجع عليّ من صفين علم أنه لا يملك أبداً فتكلم بأشياء كان لا يتكلم بها، وحديثاً بأحاديث كان لا يحدث بها، وقال فيما يقول: أيها الناس لا تكرهوا إمارة معاوية، والله لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تنزل عن كواهلها كالحنظل ومنها

(١) هذا الحرف ساقط من المخطوطة والمطبوعة وإثباته أولى.

(٢) وردت في المخطوطة «خرج» والاصواب ما أثبتته

(٣) وردت في المطبوعة «مجرد».

ملك بني أمية يزيد بن معاوية، ومن بعده المشتمل على الفتن العظام كقطع الليل المظلم.

عن عمران بن الحصين قال: أبغض الناس إلى رسول الله بنو أمية وثقيف وبنو حنيفة.

وعن أبي ذر مرفوعاً: إذا بلغت بنو أمية أربعين رجلاً اتخذوا عباد الله ^(١) سولاً، ومال الله دخلاً ^(٢)، وكتاب الله دغلاً ^(٣)، وفي روايته: ومال الله بخلاً، وكتاب الله ثقلاً ^(٤)، وفي رواية: إذا بلغ بنو العاصي ثلاثين رجلاً اتخذوا [دين الله دخلاً] ^(٥) إلخ.

وعن ابن الموهب أنه كان عند معاوية فدخل عليه مروان، فقال له: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله إن مؤنتي لعظيمة وإني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة، فلما أدبر مروان وابن عباس جالس مع معاوية على السرير، فقال معاوية: يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: إذا بلغ بنو الحَكَم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولا، وعباد الله خولا، وكتاب الله دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعائة رجل، كان هلاكهم أسرع من أول ثمرة، فقال ابن عباس: اللهم نعم، وذكر مروان حاجة له، فردّ مروان عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فيها، فلما أدبر عبد الملك، قال معاوية: يا ابن عباس: أما تعلم أن رسول الله ﷺ ذكر هذا! فقال: أبو الجبابرة الأربعة، فقال ابن عباس: اللهم نعم. رواه البيهقي ^(٦).

وعن عليّ كرم الله وجهه قال: لكل أمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أمية.

وعن عمران بن جابر الحنفي - وكان أحد الوفد - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ويل ^(٧) لبني أمية ثلاث مرات.

(١) الخول: الخدم والخدم.

(٢) قال الفيومي: «الدخل ما يدخل على الإنسان في عقاره وتجارته» مادة: [دخل].

(٣) إدخال فيه ما يخالفه ويفسده.

(٤) الإفساد.

(٥) ساقطة من المخطوطة.

(٦) ساقط من المخطوطة.

(٧) ساقطة من المخطوطة.

وعن محمد بن كعب القرظي قال : لعن رسول الله ﷺ الحَكَم وما ولد إلا الصالحين منهم ، وهم قليل .

وعن عمرو بن مرة الجهني قال : استأذن الحكم بن أبي العاصي على رسول الله ﷺ فعرف صوته ، فقال : ائذنوا له حية أو ولد حية لعنة الله عليه وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم ، وقليل ما هم ، قلت : وهذا الاستثناء إشارة إلى عمر بن عبد العزيز وأمثاله فهم يشرفون في الدنيا ، يوضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعظمون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلائق .

وعن زهير بن [الأرقم]^(١) قال : كان الحكم بن أبي العاصي يجلس إلى رسول الله ﷺ وينقل كلامه إلى قريش فلعنه رسول الله ﷺ وما يخرج من صلبه إلى يوم القيامة .

وعن عبد الله بن الزبير أنه قال وهو على المنبر : ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام إن الحكم بن أبي العاصي وولده ملعونون على لسان محمد ﷺ .

وعنه وهو يطوف : ورب هذه البنية لعن رسول الله ﷺ الحكم وما ولد .

وعن أبي يحيى النخعي قال : كنت بين الحسن والحسين ومروان يتشاثمان ، فجعل الحسن يكف الحسين ، فقال مروان : أهل [البيت]^(٢) ملعونون ، فغضب الحسن ، وقال : أقلت أهل بيتي ملعونون؟ فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه ، وأنت في صلب أبيك . وفي لفظ : لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت صلبه .

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : رأيت في النوم بني الحَكَم ينزون على منبري كما تنزوي القردة ، قال : فما رأي النبي ﷺ ضاحكاً متجمعاً حتى توفي . رواه أبو يعلى والحكم والبيهقي .

وعن ابن المسيب قال : رأى النبي ﷺ بني أمية على منبره فسأه ذلك فأوحى إليه إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه . رواه البيهقي .

(١) وردت في المخطوطة «الأقمر» والصواب ما أثبتته .

(٢) في المطبوعة «بيت» والصواب ما أثبت .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجالاً رجلاً فسأه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾^(١) ونزلت: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(٢) يملكها بنو أمية. قال القاسم بن القيم بن الفضل: فحسبنا مدة ملك بني أمية فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص. رواه الترمذي^(٣) والحاكم والبيهقي.

وعن الزهري وعطاء الخراساني أن النبي ﷺ قال للحكم: كأني أنظر إلى بنيك يصعدون منبري وينزلون. رواه الفاكهي.

وعن جبير بن مطعم قال: كنا مع النبي ﷺ فمرَّ الحَكَمُ بن أبي العاصي فقال النبي ﷺ: ويل لأمتي مما في صلب هذا.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليرعفن جبار من جبابرة بني أمية على منبري هذا فرعف عمرو بن سعيد بن العاصي على منبر النبي ﷺ حتى سال الدم على درج المنبر^(٤).

وعن ابن عمر: قال: هجرت الرواح إلى رسول الله ﷺ فجاء الحسن فقال له رسول الله ﷺ: ادن فلم يزل يدينه حتى التقم أذنيه فبينما النبي ﷺ يساره إذ رفع رأسه كالفرع، فإذا قرع بسيفه الباب، فقال لعلي: اذهب فقدّه كما تفاد الشاة إلى حالبها، فإذا عليّ يُدخل الحكم بن أبي العاصي آخذاً بأذنه، ولها زنمة حتى أوقفه بين يدي النبي ﷺ فلعنه نبي الله ثلاثاً ثم قال: أجلسه ناحية، حتى راح إليه قوم من المهاجرين والأنصار، ثم دعاه فلعنه، ثم قال: إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه، وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء، فقال ناس من القوم: هو أقل وأذل أن يكون هذا منه، قال: بلى، وبعضكم يومئذ شيعة، ثم إنه ﷺ نفاه إلى الطائف، فكان هناك حياته، ولم يرده أبو بكر ولا عمر، فردّه عثمان في خلافته، وهذا أحد الأمور التي انتقدوها عليه، وهم

(١) سورة الكوثر، الآية: ١.

(٢) سورة القدر، الآيات ١، ٢، ٣.

(٣) انظر: سنن الترمذي: ٥٥/٣، المستدرک: ٢/٢١٢، شعب الإبريان: ١/١٦٥.

(٤) ساقط من المخطوطة.

صاروا سبب قتله ، فكانت دولتهم مقتضية لمفاسد كثيرة ومظالم لا تعد ولا تحصى ، فمما وقع في زمن يزيد .

مقتل الحسن بن علي رضي الله عنهما :

وسببه أن يزيد بن معاوية أرسل إلى زوجة الحسن جعدة الكندية أنها تُسمّه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ، ففعلت ، فمرض أربعين يوماً ، وجهد به أخوه الحسين أن يخبره عمن سمّه فأبى ، وقال : الله أشد نقمة وأجد كيدي تقطع ، وإني لعارف من أين دهيت - أي يشير إلى أنه من قبل يزيد ^(١) - فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء ، ثم قال : أقسم عليك ألا تريق في أمري محجمة دم ، ومن كلامه له : إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك ، فيخرجوك ، والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة ، وقد كنت طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله ﷺ فأجابت : فإذا مت فاطلب منها . وما أظن القوم - يعني بني أمية - إلا سيمنعوك فإن فعلوا فلا تراجعهم ، وادفني عند أمي فاطمة بالبقيع ، فمات [رضي الله عنه] ^(٢) ، بعد أربعين يوماً ، والأكثر أن أنه سنة خمسين فلما مات سأل الحسين عائشة رضي الله عنها ، فقالت : نعم وكرامة ، فمنعهم مروان ، وكان أميراً بالمدينة من جهة معاوية ومن معه من بني أمية ، فلبس الحسين ومن معه السلاح ، وقالوا : نقاتل . وقال أبو هريرة : والله لا يمنعه إلا ظالم ، والله إنه لابن رسول الله ﷺ ثم قال أبو هريرة للحسين : لا تكن أول من ترك وصية أخيك فقد أوصاك بعدم القتال ، فما زال به حتى رده ودفنوه بالبقيع عند أمه ، وأرسلت جعدة إلى يزيد تطلبه ما وعد بها ، فأبى ولم يتزوجها .

مقتل الحسين [رضي الله عنه] ^(٣) :

عن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أمسك يا معاذ وأحص ، فلما بلغت خمساً ، يعني من الخلفاء ، قال : يزيد ، لا بارك الله في يزيد نعى إليّ الحسين ، وأتيت

(١) ساقطة من المطبوعة .

(٢) وردت في المخطوطة «رحمة الله تعالى» .

(٣) لفظة «رضي الله عنه» ساقطة من المخطوطة .

بتربته وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهري قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعاً، قلت في هذا ذم للذين بايعوه، وأخرجوه ثم أسلموه إلى العدو، ولم يمنعه واهماً لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف يقتل خلفي، وخلف الخلف، أمسك يا معاذ، قال: فلما بلغت عشرة، قال: الوليد اسم فرعون هادم شرايع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته الحديث، وقوله: فلما بلغت عشرة يحتمل عشرة مع الخلفاء الراشدين، وحينئذ فهو الوليد بن عبد الملك لأن الخلفاء أربعة والخامس معاوية والسادس يزيد والسابع ابنه معاوية والثامن ابن الزبير أو مروان والتاسع عبد الملك والعاشر الوليد ابنه، وإن كان عشرة بعد يزيد، فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك لأنه تولى بعد الوليد هذا سليمان أخوه وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابنا عبد الملك، فهؤلاء أربعة إذا انضموا إلى الخمسة يكونون تسعة والعاشر الوليد بن يزيد ويؤيد هذا الثاني قوله: يبوء بدمه رجل من أهل بيته لأنه قتله ابن عمه يزيد بن الوليد، وكذا قوله: سل الله سيفه فلا إغماذ له لأنهم اختلفوا فقتل بعضهم فغلب عليهم بنو العباس، ومن ثم قال الزهري: إن تولى الوليد ابن يزيد فهو هو وإلا فهو الوليد بن عبد الملك وجاء من [طرق]^(١) صحح الحاكم بعضها أن جبريل، وفي رواية ملك القطر جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أن الحسين مقتول وأراه من تربة الأرض التي يقتل فيها فأعطاه لأم سلمة وأخبرها أن يوم قتله يتحول دماً فكان كذلك وشم ﷺ ذلك، فقيل: ربح كرب وبلاء.

وسببه أنه لما مات الحسن أخذ معاوية البيعة ليزيد من أهل الشام، وجاء [حاجاً]^(٢) فأراد أن يأخذها له من أهل الحجاز من المهاجرين والأنصار فامتنعوا، وقالوا: إن كان لك رغبة فيها فهي لك، وإن سئمتها فردّها على المسلمين، فلما مات معاوية، وبويع يزيد بالشام وغيرها أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة على الحسين فهرب الحسين إلى مكة خوفاً على نفسه فأرسل إليه أهل الكوفة أن يأتيهم ليبايعوه، [فنهاه]^(٣) ابن عباس، وذكر له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه وأمره أن لا يذهب بأهله

(١) وردت في المطبوعة «طريق».

(٢) وردت في المخطوطة «حج».

(٣) في المطبوعة «فبهاه» وهو تصحيف.

فأبى، فبكى ابن عباس، وقال: واحسيناه. وقال له ابن عمر نحو ذلك، فأبى فقبل بين عيني، وقال: أستودعك الله من قتيل، وكذلك نهاه ابن الزبير بل لم يبق بمكة أحد إلا حزن، ولما بلغ أخاه محمد بن الحنفية بكى حتى ملأ طستاً بين يديه، وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً أو أكثر، وأرسل إليه يزيد بن زياد وحرّضه على قتله وأخذوا مسلم بن عقيل فقتلوه، وتفرّق المبايعون، وسار الحسين غير عالم بذلك، فلقي الفرزدق^(١) فسأله، فقال: قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء، ولما قرب من القادسية تلقاه من أخبره الخبر وأمره بالرجوع، فقالت إخوة مسلم بن عقيل: والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير في الحياة بعدكم، ثم سار فلقية أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء^(٢) فجهز إليه ابن زياد عشرين ألف مقاتل فلما وصلوا إليه طلبوا منه النزول على حكم ابن زياد والمبايعة ليزيد، فقال: دعوني أذهب إلى يزيد فأبى ابن زياد إلا النزول على حكمه فقال: والله لا نزلت على حكمه أبداً، فقاتلوه، وكان أكثر مقاتليه المكاتبين له والمبايعين له، فلعن الله على قاتليه مرة وعلى خاذليه مائة مرة حيث جعلوا آل بيت رسول الله فداء لأنفسهم قاتلهم الله ما أغدرهم وأخذهم، ومن ثم قال لهم أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه: والله لو قدرت لبعثكم بأهل الشام. صرف الدرهم بالدينار كل عشرة منكم واحد منهم فحارب [رضي الله عنه]^(٣) ذلك العدد الكثير، ومعه من أهله نيف^(٤) وثمانون، فثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً، ولولا أنهم حالوا بينه وبين الماء ما قدروا عليه فلما بلغ القتلى من أهله خمسين نادى أما ذابّ يذبّ عن حريم رسول الله ﷺ فخرج يزيد بن الحارث رجاء شفاعته جدّه ﷺ، فقاتل بين يديه حتى قتل، ثم [في]^(٥) أصحابه، وبقي بمفرده فحمل عليهم حملة عمه حمزة وأبيه عليّ، وقتل كثيراً من شجعانهم فكثروا عليه حتى حالوا بينه

(١) شاعر أموي مجيد، ويعد من أصحاب النقاظ مع جرير والأخطل، أغلب شعره في الهجاء، وقد طرق في معظم الفنون الشعرية.

(٢) قال ياقوت الحموي في معجمه: [٤/ ٤٤٥]: «كربلاء مدينة بالعراق، وفيها قتل الحسين بن عليّ رضي الله عنهما».

(٣) وردت في المطبوعة «عليه السلام».

(٤) النيف: تطلق من واحد إلى ثلاث.

(٥) وردت في المخطوطة «فني» وهو تحريف.

وبين حريمه، فصاح [رضي الله عنه] ^(١) كفوا سفهاءكم عن النساء والأطفال، فكفوا ثم لم يزل يقاتلهم حتى أنخنوه بالجراح لأنه طعن إحدى وثلاثين طعنة، وضرب أربعاً وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه العطش، فسقط إلى الأرض، وحزوا رأسه الشريف يوم الجمعة عاشر محرم عام إحدى وستين، ولما وضعه قاتله بين يدي اللعين ابن زياد أنشد متبجحاً شعراً:

أوفر ركابي فضة وذهباً أني قتلت ملكاً [محجبا] ^(٢)
قتلت خير الناس أمأ وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فأمر بضرب عنقه، وقال: إذا علمت إنه كذلك فلم تقتله، والظاهر أنه ما قتله إلا لأنه مدحه لا لأنه قتله، ويدل لذلك أنه جعل الرأس الشريف في طست، وجعل يضرب ثناياه الشريفة بقضيب ويدخله أنفه ويتعجب من حسن ثغره، فبكى أنس رضي الله عنه، وقال: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وقال زيد بن أرقم: ارفع قضيبك، فوالله لطلما رأيت رسول الله ﷺ يقبل الشفتين، وبكى فأغلظ عليه اللعين ابن زياد وهدده بالقتل فقال: لأحدثك بها هو أغبط عليك من هذا رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً هذا على فخذه اليسرى، ثم وضع يده الكريمة على يافوخها، ثم قال: اللهم إني استودعتك إياهما وصالح المؤمنين، فكيف كانت ودعة النبي عندك يا ابن زياد؟ وقد انتقم الله منه.

فقد روى الترمذي بسند صحيح أن رأس ابن زياد لما قتل وضع موضع رأس الحسين، وإذا حية عظيمة، قد جاءت، فتفرق الناس عنها، فتخللت الرؤوس حتى جاءت ابن زياد، فجعلت تدخل من فمه وتخرج من منخريه، وتخرج من فمه، فعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً، ولما دخل قصر الإمارة بالكوفة أمر بالرأس فوضع على ترس عن يمينه والناس سباطان، ثم أنزل وجهه مع رؤوس أصحابه وسبايا آل الحسين على أقتاب الجبال موثقين في الحبال والنساء مكشفات الوجوه والرؤوس إلى يزيد لعنه الله، ولما نزل الذين أرسلهم ابن زياد بالرأس أول منزل جعلوا يشربون على الرأس، فخرجت

(١) في المطبوعة «عليه السلام».

(٢) وردت في المطبوعة «محجبا».

عليهم يد من الحائط، فكتبت سطرأ بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس، ثم عادوا وأخذوه ولما قدموا به على يزيد أقام الحريم على درج الجامع حيث تقام الأسارى والسبي، وما ظهر يوم قتله أن السماء أمطرت دماً، وأن أوانيهم ملئت دماً، وانكسفت الشمس، ورؤيت النجوم، واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، وأن الكواكب ضربت بعضها بعضاً وأنه لم يرفع جمر إلا روي تحته دم عبيط وأن [السورس]^(١) انقلب دماً، وأن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام، وقتل معه من إخوته وبنيه وبني أخيه الحسن، ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً.

وقال الحسن البصري: وما كان على وجه الأرض لهم يومئذ شبیه، وأنشدوا:

أعين [أبكي]^(٢) بعبرة وعويل واندبني إن ندبت آل الرسول
سبعة منهم لصلب علي قد أبيدوا وتسعة لعقيل

ومنها وقعة الحرّة:

روى عمر بن شبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده ليكونن بالمدينة ملحمة يقال لها: «الحالقة» لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، فاخرجوا من المدينة، ولو على قدر بريد.

وروى أيضاً: ويل للعرب من شر قد اقترب على رأس الستين تصير [الأمانة]^(٣) غنيمة والصدقة غرامة والشهادة بالمعرفة والحكم بالهوى. رواه الحاكم.

وكان أبو هريرة يقول: اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان، يشير إلى قوله ﷺ هلاك أمتي على أيدي أغيلمة^(٤) من قريش، فإن يزيد فيها تولى.

(١) وردت في المطبوعة «الرؤوس» وهو تصحيف.

(٢) في المطبوعة «بكي» والصحيح ما أثبت.

(٣) وردت في المخطوطة «الإمامة» والصواب ما أثبت.

(٤) جمع غلام.

وعن أيوب بن بشير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقتل في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال^(١) : قال رسول الله ﷺ : يقتل بحرة زهرة خيار أمتي أبي عبيدة ، لا يزال هذا الدين قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية .

وعن أبي العالية قال : كنا بالشام مع أبي ذر فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول رجل يغير سنتي رجل من بني فلان - يعني بني أمية - فقال يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية أنا هو؟ قال : لا .

[وقد أخرج أبو يعلى عن أبي عبيدة مرفوعاً : لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له : يزيد .

وأخرج الروياني عن أبي الدرداء مرفوعاً : أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد]^(٢) .

وسبب هذه الواقعة أن معاوية لما أراد أن [يأخذ]^(٣) البيعة ليزيد من أكابر أهل الحجاز كابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر، أرسل إليهم في ذلك ، فلم يجيبوه ، فأرسل إلى ابن عمر بهائة ألف درهم فأخذها ، فدرس إليه رجلاً ، فقال له : ما يمنعك أن تباع . له إن ذاك لذكائك يعني عطاء المال للمبايعة ، فقال : إن ديني إذا عندي لرخيص لا أباع أميرين أبداً ، وأرسل إلى عبد الرحمن بن أبي بكر فأجابه بكلام غليظ ، وأرسل إلى عبد الله ابن الزبير فأجابه بنحو ذلك ، فظن أنهم لا يرضون بخلافة يزيد ولا يبايعونه ، فلما احتضر معاوية قال لابنه يزيد : لقد وطأت لك البلاد ومهدت لك الناس ، ولست أخاف عليك إلا أهل الحجاز ، فإن رابك منهم أمر فوجه إليهم مسلم ابن عقبة فإني قد جربت ، ورأيت نصيحتته ، فلما مات وصار أمر الحسين إلى ما ذكر ابن

(١) ساقطة من المطبوعة .

(٢) الكلام بين قوسين مربعين ساقط من المخطوطة .

(٣) في المخطوطة «أخذ» .

الزبير، أظهر الخلاف على يزيد والتجأ إلى مكة، وقام أهل المدينة فشاركوا ابن الزبير في الخلاف، وخلعوا يزيد بعد أن بايعوه، وحاصروا بني أمية الذين كانوا بالمدينة، فأرسل مروان إنا حصر، ومنعنا الماء العذب، فواغوثاه!، فوجه إليهم مسلم بن عقيل المري في اثني عشر ألفاً، وقيل: عشرين ألفاً، وقال: ادعهم ثلاثاً، فإن رجعوا وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت فأبجها للجيش ثلاثاً. أجهز على جريحهم، واتبع منهزمهم، فتوجه إليهم، فوصل في ذي الحجة سنة ثلاث وستين فحاربوه، وكان الأمير على الأنصار عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعلى قريش عبدالله بن مطيع وعلى غيرهم، من القبائل، معقل بن سنان الأشجعي، وكانوا اتخذوا خندقاً فلما رآهم أهل الشام خافوهم وكرهوا قتالهم، فأدخل بنو حارثة قوماً من الشاميين من جانية الخندق، فلما سمعوا التكبير في جوف المدينة خافوا على أهلهم، فتركوا القتال، ودخلوا المدينة فكانت الهزيمة، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس، ووقعوا على النساء، وقاتل عبدالله بن مطيع حتى قتل هو وبنت له سبعة، وبعث برأسه إلى يزيد، وقتل من وجوه الناس أكثر من سبعمائة من قريش ومن أخلاط الناس من الموالي والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف، وسبوا الذرية واستباحوا الفروج وأحبّلوا أكثر من ألف امرأة من الزنا، وسمي أولادهم «أولاد الحرة» وربطوا الخيل بسواري المسجد الشريف، وجالت الخيل فيه ورائت وبالت بين القبر الشريف والمنبر وتعطل المسجد الشريف ثلاثة أيام لم يُصل فيه، وكان ابن المسيب في المسجد تلك الأيام يسمع من القبر الشريف الأذان والإقامة، وكانوا يضحكون منه، ويقولون: انظروا إلى هذا الشيخ المجنون يصلي وذلك لأنه جاؤوا به ليبايع يزيد على أنه عبد قن ليزيد في طاعة الله ومعصيته كما بايع الناس فقال: بل على كتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبي بكر وعمر، فأمر بقتله، فقال بعض الناس: دعوه فإنه مجنون، فتركوه، وكل من أبي أن يبايع على أنه عبد ليزيد في طاعة الله ومعصيته أمر بقتله، ودخلت طائفة^(١) بيت أبي سعيد الخدري، فأخذوا ما فيه من المتاع، ودخلت طائفة أخرى فلم يجدوا شيئاً فاضجعوه ومعطوا لحيته خصلة خصلة، ولم يتعرض لعلي ابن الحسين رين العابدين لأن يزيد وصاه به، وقال: إنه لم يدخل في شيء من أمرهم،

(١) قال الفيومي: «الطائفة من الناس الجماعة، وأقلها ثلاثة وربما أطلقت على الواحد والاثنين» [مادة: طوف].

وسموا مسلماً هذا مسرفاً لإسرافه في القتل والفساد ثم توجه إلى ابن الزبير فإنه قال له يزيد: إذا فرغت من أمر المدينة فتوجه إلى مكة، وكان مريضاً فمات في الطريق، وكان من غاية جهله وضلاله يقول: اللهم إني لم أعمل بعد شهادة أن لا إله إلا الله أرجئ لي من قتل أهل المدينة، ولئن دخلت النار بعدها إني لشقي، ثم نادى الحصين^(١) بن نمير وقال له: أمير المؤمنين - يعني يزيد - ولاك بعدي فأسرع السير ولا تؤخر ابن الزبير، وأمره أن ينصب المجانيق على مكة، [وقال]^(٢): إن تعوذوا بالبيت فارمه فذهب وحاصر مكة أربعاً وستين يوماً، وجرى فيها قتال شديد، ورمى البيت بالمجانيق وأخذ رجل قبساً في رأس رمح فطارت به الريح فأحرق البيت فجاءهم نعي يزيد، وكان بين الحرة وموته ثلاثة أشهر، وقيل دونه واجترأ أهل مكة وأهل المدينة على أهل الشام فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته، فنكس عنها، فقال لهم بنو أمية: لا تبرحوا حتى نحملونا معكم إلى الشام ففعلوا، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشام، فبويع لابن الزبير بالحجاز، وببيع أهل الآفاق كلها لمعاوية بن يزيد، [مقام يزيد]^(٣) وكان رجلاً صالحاً فيه [دين وعقل]^(٤)، [فقال]: أيها الناس إن جدي معاوية نازع هذا الأمر كله، وخاض في دماء المسلمين حتى غلب عليه، ثم مات، فالله أعلم بما هو صائر إليه، وإن ابن يزيد نازع هذا الأمر أهله، وقتل أولاد رسول الله ﷺ وأهل الحرمين ونصب المجانيق على الكعبة، ثم مات فالله أعلم بما هو صائر إليه وإنكم قلدتموني هذا الأمر، فوالله لا أذهب بإثمهم وتذهبون بنعيمه ولا أدخل في شيء من دماء المسلمين وأموالهم، فلزم بيته إلى أن مات بعد أربعين يوماً، وقيل: ستة أشهر وهو آخر من تولى من بني أبي سفيان^(٥)، فأقام فيها أربعين يوماً، قيل أقام فيها خمسة أشهر وأياماً، وخلع نفسه وذكر غير واحد أن معاوية ابن يزيد لما نازع نفسه صعد المنبر، وجلس طويلاً ثم حمد الله تعالى، وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ثم ذكر النبي ﷺ بأحسن ما يذكر به ثم قال: «أيها الناس لست أنا بالراغب في الائتثار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإني

(١) وردت في المطبوعة «حصين».

(٢) في المخطوطة «قال» بدون الواو العاطفة.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

(٥) ساقطة من المطبوعة.

أعلم إنكم تكرهوننا أيضاً لأننا بلينا بكم وبليتم بنا إلا أن جدي معاوية نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقربته من رسول الله ﷺ وعظيم فضله وسابقته أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً وأكثرهم علماً وأولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأخوه زوجته رسول الله ﷺ ابنته وجعله لها بعلاً^(١) باختياره وجعلها له زوجة باختيارها له أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة تربية الرسول وابنا فاطمة البتول من الشجرة الطاهرة الزاكية، فركب جدي منه ما تعلمون وركبتم ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدي الأمور، فلما جاء القدر المحتوم واخترمته أيدي المنون فبقي مرتهاً بعمله فريداً في قبره، ووجد ما قدمت يده ورأى ما ركبته واعتاده ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه، ولقد كان أبي يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ فركب هواه، واستحسن خطاه وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله وبغيه على من استحل حرمة من أولاد رسول الله ﷺ فقللت مدته وانقطع خبره وضاجع عمله وصار حليف حفرة ورهين خطيئته وبقيت أوزاره وتبعاته، وحصل ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم وشغلنا الحزن له على الحزن عليه فليت شعري ماذا قال وماذا قيل له، هل عوقب بإساءته وجوزي بعمله، وذلك ظني. ثم اختنقته العبر^(٢)، فبكى طويلاً وعلا نحيبه ثم قال: وصرت أنا ثالث القوم، والساخط علي أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل أثامكم، ولا يراني الله حملت قدرته متقلداً أوزاركم وألقاه بتبعاتكم شأنكم وأمركم فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولوه، وخلعت بيعتي من أعناقكم، والسلام».

فقال له مروان بن الحكم - وكان تحت المنبر أسنة عمرية -: يا أبا ليلى أعد عني أعن ديني تخدعني، فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتخرج مرارتها اتنني برجال مثل رجال عمر على أنه ما كان حين جعلها شورى وصرفها عمن لا يشك في عدالته ظلوماً، والله لئن كانت الخلافة مغنياً، لقد نال أبي منها مغرماً ومأثماً، ولئن كانت شراً فحسبه منها ما أصابه، ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكي، فقالت له أمه: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك، فقال: وددت والله ذلك ثم قال: ويلي إن لم يرحمني ربي ثم إن

(١) زوجاً.

(٢) الدموع.

بني أمية قالوا لمعلمه عمر، والمقصود أنت هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة، وزيّنت له حب عليّ وأولاده، وحملته على ما وسمنّا به من الظلم، وحسنت له البدع حتى نطق بها نطق، وقال ما قال فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب عليّ، فلم يقبلوا منه ذلك، وأخذوه ودفنوه حياً حتى مات وتوفي معاوية بن يزيد بعد خلعه نفسه بأربعين يوماً وقيل: تسعين ليلة، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وقيل: إحدى وعشرين سنة، وقيل: ثماني عشرة سنة، وقيل: عشرين سنة، ويقال: لما احتضر قيل له: أما تستخلف؟ فأبى وقال: ما أصبت من حلاوتها شيئاً فلم أتحمل مرارتها، ولم يعقب رحمه الله ورحم له^(١).

كان قتل الحسين ووقعة الحرة [وقتل ابن الزبير]^(٢) ورمي الكعبة بالمنجنيق [واستحلال الحرم]^(٣) من شنائع يزيد.

قال ابن حجر في شرح [الهمزية]^(٤): «ولا عجب فإن يزيد بلغ من قبائح الفسق والإخلال بالقوى مبلغاً لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه.

بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به ورعاً وعلماً يقضيان بأنه لم يقل ذلك إلا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده، وإن لم تثبت عند غيره كالغزالي، وبالغ ابن العربي المالكي فقال: لم يقتل يزيد الحسين إلا بسيف جده أي لأن البيعة سبقت ليزيد، وهو باغ عليه لأن كثيرين قدموا عليها مختارين على أن أباه قد استخلفه ومع الاستخلاف لا يشترط ذلك، ولا شك أن أباه قد صار خليفة حقاً بنزول الحسن له واجتماع الناس عليه، ويرد بأن هذا إنما هو بعد استقرار الأحكام وانعقاد الاجتماع على تحريم الخروج على الإمام الجائر، أما قبل ذلك فكان الأمر منوطاً بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضي الله تعالى عنه اقتضى جواز أو وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصم عنها الآذان، [ويزيد]^(٥) لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم يبايعوه،

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) في المطبوعة «الهمزة» والصواب ما أثبت.

(٥) وردت في المطبوعة «يزل» والصواب ما أثبت.

والمبايعون له مكرهون على البيعة، وغايته أمر يزيد إن لم يكن كافراً، أنه [جائر]^(١) فاسق متغلب، وحرمة الخروج على الجائر محلها بعد استقرار الأمور وانقضاء تلك الأعصار، انتهى.

قلت: وأيضاً فإن يزيد كان فاسقاً جاهلاً، وشرط الاستخلاف ابتداء العلم بالأحكام والعدالة، وقولهم: (إن الإمام الأعظم لا ينزل بالفسق) إنما هو دوماً لا ابتداء. فإنه يمنع من البيعة، وأما [تغلب]^(٢) يزيد] فإنما حصل بعد قتل الحسين بل وبعد الحرة، حيث قتل أكثر من يستحق الخلافة على أن أهل مكة لم يبايعوه وأصروا مع ابن الزبير على القتال زمنه وزمن [ابنه]^(٣) معاوية ثم بعد معاوية بن يزيد، بايع أهل الأفاق كلها لابن الزبير، وانتظم له ملك الحجاز واليمن ومصر والعراق والشرق كله وجميع بلاد [الشام]^(٤) حتى دمشق، لم يتخلّف عن بيعته إلا بنو أمية ومن يهوى هواهم، وكانوا بفلسطين حتى أن مروان همّ بالرحلة إلى مكة ليبايعه، فمنعه بنو أمية، وبايعوه بالخلافة، وخرج بها أطاعه إلى دمشق، وقاتل الضحّاك بن قيس المبايع لابن الزبير فاقتتلوا بمرج راهط^(٥)، فقتل الضحّاك وغلب مروان على الشام، ثم توجه إلى مصر فحاصر عامل ابن الزبير بها حتى غلب عليها في ربيع الآخر سنة خمس وستين، ومات في تلك السنة، فكانت مدته ستة أشهر، وعهد إلى ابنه عبد الملك، فقام مقامه، وكمل له ملك الشام ومصر والمغرب، ولابن الزبير ملك اليمن والحجاز والعراق والمشرق إلا أن المختار بن أبي عبيد غلب على الكوفة، وكان يدعو إلى المهدي من أهل البيت، ويقول: إنه محمد بن الحنفية، فأقام على ذلك نحو الستين، ثم سار إليه مصعب بن الزبير أمير البصرة لأخيه عبدالله بن الزبير فحاصره حتى قتل في شهر رمضان في سنة سبع وستين، وانتظم أمر العراق كله لابن الزبير، فدام ذلك إلى سنة إحدى وسبعين، وسار عبد الملك إلى مصعب وقاتله حتى قتله في جمادى منها، وملك العراق كله، ولم يبق مع ابن الزبير إلا الحجاز واليمن فقط، فجهاز إليه عبد الملك الشقي

(١) في المطبوعة «جائر» بالزاي، والصواب ما تم إثباته.

(٢) في المطبوعة «تغلب» بالعين، والصواب ما تم إثباته.

(٣) في المطبوعة «أبيه» والصواب ما أثبتته.

(٤) في المطبوعة «الشلام».

(٥) قال ياقوت الحموي في معجمه [١٠١ / ٥]: «مرج راهط ناحية من نواحي دمشق».

الحجاج بن يوسف الثقفي فحاصره في سنة اثنتين وسبعين إلى أن قتل عبدالله بن الزبير في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان مجموع مدة ابن الزبير تسع سنين وشيء ، ثم اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان ثم بعده على ابنه الوليد ثم ابنه سليمان ثم عمر ابن عبد العزيز ثم ابنه الآخر يزيد ثم ابنه الآخر هشام فهؤلاء كلهم أولاد عبد الملك إلا عمر فإنه ابن أخيه عبد العزيز ثم بعد هشام تولى ابن أخيه [الوليد]^(١) بن يزيد ، فقام عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله ، وقام عليه مروان الحمار بن محمد بن مروان ، ولما مات وليّ أخوه إبراهيم فغلبه مروان ، واختل أمرهم حتى غلب على الملك بنو العباس ، وقتلوه أشد قتل ، فله الأمر من قبل ومن بعد .

ومنها خراب المدينة :

[أخرج ابن شعبة]^(٢) عن أبي هريرة : ليخرجن أهل المدينة من المدينة أعمر ما كانت نصفاً زهواً ونصفاً رطباً^(٣) .

قيل : من يخرجهم ؟ قال : أمراء السوء .

وروى أحمد برجال الصحيح أن النبي ﷺ صعد أحداً فأقبل على المدينة فقال : «ويل أمها قرية يدعها أهلها كأيّنع ما تكون» .

وروى^(٤) ابن شعبة عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتاباً لكعب : ليفشين أهل المدينة أمر يفرّعهم حتى يتركوها ، وهي مذلة وتبوها السنائر على قطائف الخبز ما يروعها شيء ، وحتى تحرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء .

وفي الموطأ : لتترك المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيقذي أي يبول على بعض سوارى المسجد .

ورواه ابن شعبة ، ولفظه : فيقذي على سوارى المسجد والمنبر .

(١) وردت في المطبوعة «الوليد» وهو تصحيف .

(٢) في المطبوعة «خرج شبه» والصواب ما أثبت .

(٣) في المطبوعة «نصف هوأ ونصف زبطاً» وهو تحريف .

(٤) ساقطة من المخطوطة .

قال القاضي عياض : إن هذا جرى في العصر الأول ، وإنها تركت أحسن ما كانت من حيث الدين والدنيا . أما الدين فلكثره العلماء بها ، وأما الدنيا فلعمارتها ، واتساع حال أهلها .

وذكر الأخباريون أنه رحل عنها أكثر أهلها ، وبقيت ثمارها للعوافي ونخلت مدة ، ثم تراجعوا ، قال : وقد حكى قوم كثيرون : أنهم رأوا ما أنذر به ﷺ من تقذية الكلاب على سوارى مسجدها ، انتهى .

وقال النووي : الظاهر المختار أن الترك لها يكون آخر الزمان .

قال السيد السهموري في تاريخها : إنه ورد ما يقضي أن الترك لها يكون متعدياً .

فقد روى ابن شبة : ليخرجن أهل المدينة منها ثم ليعودن إليها ثم ليخرجن منها ثم ليعودن إليها .

وروى أيضاً عن عمر مرفوعاً : يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها ثم تمتلئ وتبنى ثم يخرجون منها ولا يعودون إليها أبداً .

قال : فالظاهر أن ما ذكره القاضي عياض هو ترك الأول ، وسببه كائنة الحرة كما في حديث أبي هريرة : يخرجهم أمراء السوء . وأنه بقي الترك الذي يكون آخر الزمان ، انتهى .

قلت : ويؤيد ما ذكره ما في رواية شريح السابقة : ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها .

فإن خروجهم عنها آخر الزمان يكون للهجرة إلى بيت المقدس طلباً للجهاد لا للفرج ، نعم يمكن أن يقال إن ذلك يقع في زمن السفياي أيضاً ، وهو من أمراء السوء ، وهو في آخر الزمان ، لكن إذا ثبت التعدد سهل الأمر بأن يقال : يخرجون منها ثلاث مرات ، وإنما ذكر في الحديث مرتين إيجازاً واختصاراً .

وبالجملة فقد وقع ذلك في زمن يزيد ، وهو من جملة قبائحه الشنيعة ، ولا بد من وقوعها مرة أخرى في آخر الزمان ، كما صرحت به الأحاديث الصحيحة ، وسيأتي إن شاء الله هذا الترك الثاني في القسم الثالث ، وبالله التوفيق .

ومنها الفتن التي وقعت في زمن بني مروان قتل ابن الزبير وهدم الكعبة وتولية الحجاج :

فإنه قتل مائة ألف وعشرين ألفاً وأربعة آلاف نفس حرام ، غير ما قتله في المحاربات وأهان جماعة من الصحابة وختمهم في رقابهم إهانة منهم أنس خادم النبي ﷺ ، ودسّ على ابن عمر من ضربه بحربة مسمومة فقتله إلى غير ذلك من القبائح ، ولا شك أنه سيئة من سيئات عبد الملك فإنه كان أميراً له على العراق [وعلى الحجاز] ^(١).

وعن حبيب بن أبي ثابت قال : قال عليّ لرجل : لا متّ حتى تدرك [فتى] ^(٢) ثقيف قيل : ما فتى ثقيف ؟ قال : ليقال له يوم القيامة : اكفنا [زاوية] ^(٣) من زوايا جهنم رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة لا يدع الله معصية إلا ارتكبها حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة ، وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها يقتل بمن أطاعه من عصاه . رواه البيهقي في الدلائل ^(٤).

ومنها قتل زيد بن علي بن الحسين وصلبه وحرقه بالنار وقتل ولده يحيى في زمانهم :

فشربوا الخمر ، وصلّوا بالناس [سكاري] ^(٥) ، وتقديمهم الجوّاري في المحارب وغير ذلك من أنواع القبائح ، بل نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء ^(٦) أن الوليد بن يزيد عزم على الحج لأجل أن يشرب فوق ظهر الكعبة ، فقتل قبل أن يبلغ مراده .

عن المسور بن مخرمة قال : قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف : ألم يكن فيما قرأ قاتلوا في الله في آخر مرة كما قاتلتم أول مرة ؟ قال : متى ذاك ؟ قال : إذا كانت بنو أمية الأمراء وبنو مخزوم الوزراء ، رواه الخطيب .

(١) ساقطة من المخطوطة .

(٢) وردت في المطبوعة «فتن» والصواب ما أثبتته .

(٣) وردت في المطبوعة «زاوية» وهو تحريف .

(٤) أنظر الدلائل : ٣ / ٢٣٥ .

(٥) وردت في المخطوطة «سكاريين» والسديد ما تم إثباته .

(٦) أنظر : تاريخ الخلفاء : ٢٤١ .

وقد مرَّ لعنهم على لسان نبيهم ﷺ هذا، [وطرق]^(١) السلامة والورع السكوت عنهم والاشتغال بعيوب النفس، وبذكر الله تعالى، فإن الاشتغال بهم باب عظيم من أبواب الشيطان، ولقد أحسن من قال :

لعمرك إن في ذنبي لشغلا بنفسي عن ذنوب بني أمية
على ربي حسابهم تناهى إليه علم ذلك لا إليه
وليس [بضاري]^(٢) ما قد أتوه إذا ما الله يغفر ما لديه

ومنها دولة بني العباس :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أقبلت رايات ولد العباس من عقبات خراسان جاؤوا بنعي الإسلام، فمن سار تحت [لوائه]^(٣) لم تنله شفاعتي يوم القيامة» رواه أبو نعيم في الحلية^(٤).

وعن أبي أمامة قال : ستخرج رايات من المشرق لبني العباس أولها مثير وأخرها مثير، لا تنصروهم لا ينصرهم الله من مشى تحت راية من راياتهم أدخله الله تعالى النار يوم القيامة ألا إنهم شرار خلق الله وأتباعهم شرار خلق الله يزعمون أنهم مني، وما هم مني. رواه الطبراني^(٥).

وعن ثوبان وعن مكحول مرسلًا وعن عليّ موصولًا: ما لي ولبني العباس شيعوا أمتي وسفكوا دماءها، ولبسوا ثياب السواد ألبسهم [الله]^(٦) ثياب النار.

رواه الطبراني^(٧)

لكن قد روى السهروردي وغيره بسند جيد أن جبريل نزل لابسا السواد، فقال : يا

(١) في المطبوعة «طريق».

(٢) في المطبوعة «بغائري».

(٣) في المطبوعة لوائهم والصواب ما تم إثباته، لأن حقها الأفراد.

(٤) أنظر الحلية : ٢ / ١٢٥ .

(٥) ٢ / ٢١٣ .

(٦) ساقطة من المخطوطة .

(٧) ٣ / ٢١٥ .

محمد هذه ثياب بني عمك العباس، فدعاهم ﷺ، وقال: [اللهم^(١)] اغفر للعباس وولده، فتحمل الأحاديث الأولى إن صحت على شرارهم، وهذا وأمثاله على خيارهم على أن هذا [أصح]^(٢) وله شواهد.

ومنها الفتن التي وقعت في زمنهم قتال أهل المدينة وقتل محمد النفس الزكية ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وقتل أخيه إبراهيم بن عبد الله، وقتل جماعة كثيرة من العلويين، وحبس الإمام جعفر الصادق في زمن المنصور، وموت الإمام موسى الكاظم في الحبس في زمن الرشيد، وإدخال الفلسفة في الإسلام، ونصرة الاعتزال في زمن المأمون، وقتل كثير من العلماء وتكليفهم القول بخلق القرآن، وضرب الإمام أحمد ابن حنبل في زمنه وزمن المعتصم والوائق وغيرهم.

ولم تتفق الكلمة في زمنهم، ولم تصف له الخلافة فكان أول من رجع عن الاعتزال منهم، ونصر السنة المتوكل فإنه رأى في المنام النبي ﷺ على تل وحوله خلق كثير وهو ينادي بأعلى صوته: ألا إن محمد بن إدريس الشافعي ترك فيكم علماً نفيساً، فاتبعوه تهتدوا، فانتقل إلى مذهب الشافعي، وعين من بيت المال اثني عشر ألفاً لنشر حديث رسول الله ﷺ، ثم لا زالوا في التناقض إلى أن بقي لهم من الخلافة مجرد الاسم، وغلب آل سلجوق على معظم البلاد، فكان آخرهم بالعراق [المستعصم]^(٣) الذي قتله التتار، ثم انتقلوا إلى مصر، وكان زمانهم مشحوناً بالعلماء في كل فن من التفسير والحديث والنحو واللغة والقراءة والفقه والكلام والتاريخ وغير ذلك، حتى أن زمان الرشيد كان يسمى «عمرس الدهر».

ومنها فتنة الفاطمية واستيلاؤهم على المغرب ومصر نحواً من ثلاثمائة سنة وإظهارهم الرفض، ونصرهم مذهب الباطنية، وإلحادهم في الدين، وكان استيلاؤهم على جزيرة القسطنطين سنة ثمان وثلاثمائة، وكان انتزاعها منهم على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الناصر في سنة أربع وستين وأربعمائة، فرحم الله روحه وجزاه عن الإسلام خيراً.

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «صح» والصواب ما أثبت.

(٣) وردت في المخطوطة «المعتصم» وهو تصحيف.

ومن فتن هؤلاء أن الحاكم منهم بنى داراً، وفرشها وأجلس الفقهاء والمحدثين فيها ثم بعد ثلاث سنين هدمها وقتل الفقهاء والمحدثين، وأن الطاهر بن الحاكم جمع ألفين وستمائة وستين جارية مزيّنات بحليهن في قصر، وأمر ببناء أبوابه إلى أن متن كلهن، وبعد ستة أشهر أضرم عليهن النار فأحرقهن بشياهن وحليهن، فلا رحمه الله ولا رحم من خلفه.

ذكر السيوطي في حسن المحاضرة^(١) قال ابن أبي حجلة: الحاكم قتل من العلماء ما لا يحصى، وأمر بسب الصحابة وأمر بكتب ذلك على أبواب المساجد والشوارع ثم محاه مدة، وهدم قمامة، وبنى مكانها مسجداً ثم أعادها كما كانت، وبنى المدارس وجعل فيها العلماء والمشايخ ثم قتلهم وهدمها، ونهى عن أكل الملوخية والجرجير، وعُلِّلَ تحريمها بكون معاوية يميل إلى الملوخية وعائشة إلى الجرجير، ونهى عن بيع الرطب ثم جمع منه شيئاً كثيراً وأحرقه، وكان مقدار النفقة على إحراقه خمسمائة دينار، ونهى عن بيع العنب، وقلب خمسة آلاف ألف جرة من جرار العسل في البحر وكسر جزاره، وأمر النصراني واليهود بالدخول في الإسلام كرهاً ثم أمرهم بالعود إلى أديانهم، فارتد منهم في سبعة أيام ستة آلاف، وخرب كنائسهم ثم أعادها، وادعى الربوبية، وكتب باسم الحاكم الرحمن الرحيم، واجتمع له كثير من الجهال، وبذل لهم المال ونادوه باسم الإله فكانوا إذا رأوه قالوا: يا واحد يا أحد يا تحيي يا مميت. وصنف له بعض الباطنية كتاباً ذكر فيه أن روح آدم انتقل إلى عليّ ثم إليه، وقرأ هذا الكتاب بجامع القاهرة، وسير هذا المصنف إلى جبال الشام، فنزل بوادي التيم وناحية بانياس واستمال الناس وأعطاهم المال، وأباح لهم الخمر والزنا ودعاهم إلى معتقد الحاكم فأضل منهم خلقاً كثيراً، وفي وادي التيم إلى يومنا هذا قرى كثيرة يعتقدون رجوع الحاكم، وأنه يعود ويمهد الأرض هذا كلامه ملخصاً. واستمروا بها ظالمين إلى أن أبادهم الله على أيدي السلاطين الأكراد الأيووية، وتولى هؤلاء أيضاً قريباً من مائتي سنة من سنة أربع وستين وأربعمائة إلى سنة ثمان وأربعين وستمائة آخرهم الملك المعظم توران شاه قتله أتباعهم الأتراك، وتولى أولئك أيضاً من هذه السنة إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ثم استولى على الأمر أتباعهم الجراكسة إلى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ثم غلبهم ملوك بني عثمان إلى يومنا هذا،

(١) انظر حسن المحاضرة: ١/ ١٧٥.

فالمَلِك والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .
ومنها فتنة القرامطة وإهانتهم الدين واستحلالهم الحرم ، وستأتي الإشارة إليهم فيما
بعد ومنها قتال الترك وفتنتهم وهم التتار .

فقد روى الستة إلا النسائي : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى
تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذُلّف^(١) الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة .

وفي رواية للبخاري^(٢) : لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوز وكرمان قوماً من الأعاجم
حمر الوجوه . وفي لفظ له : عراض الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان
المطرقة . ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر [وفي لفظ له عراض
الوجوه]^(٣) .

قولهم : نعالهم الشعر على ظاهره .

[قال البيهقي : وقد وقع ذلك فإن قوماً من الخوارج قد خرجوا بناحية الري ، وكانت
نعالهم الشعر، وقتلوا، ذكره السيوطي في الخصائص الكبرى ، بل^(٤) ويحتمل أن يكون
من جلود مشعرة غير مدبوغة ، ويحتمل أن المراد وفور شعرهم حتى يطؤوها بأقدامهم .
قال المناوي في تحريج المصابيح : وحرر الوجوه بيض الوجوه مشربة بحمرة ، وذلف
الأنوف بالذال المعجمة في رواية الجمهور .

قال صاحب المشارق : وهو الصواب ، ويروى بالمهملة ، وهو بضم الدال وسكون
اللام جمع أدنف كأحمر وحرر ومعناه : فطس الأنوف كما في الرواية الأخرى أي قصارها مع
انبطاح ، وقيل غلظ أرنبة الأنف قاله النووي .

والمَجَانّ بفتح الميم وتشديد النون جمع مَجْن بكسر الميم ، وهو الترس والمُطَرِّقة بضم

(١) أي قصار الأنوف ، أفطس .

(٢) انظر كتاب الجهاد ، باب : قتال الترك ، رقم : ٢٧٦٩ ، ٢٧٧٠ ، وباب : قتال الذين يتتعلون الشعر ،
رقم : ٢٧٧١ .

(٣) ساقطة من المطبوعة .

(٤) ساقطة من المخطوطة .

الميم وسكون الطاء ، وحكي فتح الطاء وتشديد الراء .

قال النووي : الأول هو المشهور في الرواية وكتب اللغة ، ومعناه أن وجوههم عريضة كما في الرواية الأخرى ووجناتهم ناتئة كالترس المطرقة ، وخوز ضبطه في النهاية بالخاء والزاي المعجمتين مضافاً إلى كرمان قال : وهو جبل معروف وهو من [بلاد] ^(١) الأهواز من عراق العجم بحيث قيل إنه صنف منهم ، وكرمان صقع معروف في العجم .

قال السخاوي : وهي بلدة معمورة من بلاد العجم بين خراسان وبحر الهند .

قال في النهاية : ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس .

وصوّبه الدارقطني قال : وروي خواز وكرمان ، وقيل : إذا أضيف فبالراء وإذا عطف فبالزاي المعجمة .

وورد : اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتي ملكهم بنو قنطوراء .
الحديث ، زاد في رواية : فإنهم أصحاب بأس شديد وغنائمهم قليلة .

قال النووي : هذه الأحاديث كلها معجزة لرسول الله ﷺ ، فقد عرف حال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها النبي ﷺ ، وقاتلهم المسلمون مرات .

قال السخاوي في القناعة : ومن المرات التي قاتل فيها المسلمون الترك في دولة بني أمية ، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدود إلى أن فتح ذلك شيئاً بعد شيء ، وكثر السبي منهم لما فيهم من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ثم غلبت الأتراك على الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحداً بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم ثم كانت الملوك السامانية من الترك فملكوا بلاد العجم ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين ثم آل سلجوق ، وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم ، وكان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي ، وأتباع هؤلاء ، وهم بيت أيوب ، واستكثر هؤلاء أيضاً من الترك فغلبوهم بالديار المصرية والشامية والحجازية ، وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغزو فخرّبوا البلاد ، وفتكوا في العباد ثم جاءت الطامة الكبرى بالتتار

(١) وردت في المطبوعة «بلاد» بالهمز، والصواب ما أثبتته .

بعد الستائة، فكان خروج جنكيزخان، واستعرت الدنيا بهم نارا لا سيما المشرق بأسره حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم ثم كان خراب بغداد، وقتل الخليفة المستعصم على أيديهم، أي وهو آخر الخلفاء العباسيين ببغداد الذي رثاه مصلح الدين السعدي الشيرازي بالقصيدة الفارسية التي مطلعها .

أسما تراجاي ان باشدكه كربه برزمين بزوال ملك مستعصم أمير المؤمنين
ومعناه : حق للسماء أن تبكي على الأرض لزوال ملك المستعصم أمير المؤمنين في سنة ست وخمسين وستائة .

قال التاج السبكي في طبقاته : لم يكن منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار، فإنهم خربوا المساجد وحرقوا المصاحف والكتب وقتلوا الرجال، وسبوا النساء، وبقروا بطونهم فأخرجوا أولادهم وقتلوه .

قال السخاوي : ثم لم تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم الأمير تيمور الأعرج، فطرق الديار الشامية، وعاث فيها وحرق دمشق حتى جعلها خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك وطالت مدته إلى أن مات وتفرق بنوه في البلاد .

وظهر بجميع ذلك مصداق قوله ﷺ : «إن أول من يسلب أمتي ملكها بني قنطوراء» .

قال في القناعة : وقنطوراء بالمد والقصر قيل : كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فولدت له أولاداً، فانتشر منهم الترك . حكاه ابن الأثير واستبعده وجزم به المجد في القاموس .

ومصداق ما روى الخطيب عن علي رضي الله عنه : تكون مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بني العباس، وهي الزوراء يكون فيها حرب مفضعة تسبى فيها النساء، وتذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم .

قال : وإسناده شديد الضعف .

قال الحافظ السيوطي في الجامع الكبير: وقعت هذه الحرب بعد موت الخطيب بأكثر

من مائتي سنة، وذلك مما يقوي الحديث .

وقال ابن مسعود: كأني بالترك، وقد أتتكم على براذين^(١) مخزومة الآذان حتى تربطها بشط الفرات . وفي حديث آخر: يلحقون أهل الشام بمنابت الشيخ كأني أنظر إليهم، وقد ربطوا خيولهم بسواري المسجد .

فائدة: قال السخاوي في القناعة: أسند الحاكم صاحب الصحيح في مستدركه إلى محمد بن يحيى أبي بكر الصولي النحوي قال: أول من مدح الترك من شعراء العرب علي ابن عباس الرومي حيث يقول :

إذا ثبتوا فسد من حديد تخال عيوننا فيه بحارا
وإن برزوا فينران تلظى على الأعداء يضرهمها استعارا

ومنها نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى: كما أخبر به ﷺ .

روى البخاري والحاكم في المستدرک^(٢) عن أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى [تخرج]^(٣) نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» .

وروى ابن أبي شيبة وأحمد والحاكم وصححه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليت شعري متى تخرج نار من جبل وراق تضيء لها أعناق [النجب]^(٤) ببصرى كضوء النهار» .

وروى الطبراني^(٥) بسنده عن عاصم بن عدي الأنصاري قال: سألنا رسول الله ﷺ حدثان ما قدم، أي أول ما قدم المدينة، قال: أين حبس سيل؟ قلنا: لا ندري، فمر بي رجل من بني سليم، فقلت: من أين جئت؟ قال: حبس سيل فدعوت بنعلي فأنحدرت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله سألتنا عن حبس سيل، فقلنا: لا علم

(١) قال في المنجد: «البراذين جمع برذونة»، وهي دابة الحمل الثقيل .

(٢) البخاري في كتاب الفتن، باب: خروج النار، رقم: ٦٧٠١ .

(٣) وردت في المطبوعة «خرج» وهو تصحيف .

(٤) وردت في المطبوعة «البخت» والصواب ما أثبت .

(٥) ١٣٣/١(٥) .

لنا به، وإنه مرّ بي هذا الرجل فسألته، فزعم أنه من أهله فسأله رسول الله ﷺ فقال: أين أهلك؟ فقال: بحبس سيل، فقال: أخرج أهلك فإنه يوشك أن تخرج منها نار تضيء أعناق الإبل ببصرى.

وروى هو وأبو يعلى والإمام أحمد من رواية رافع بن [بشر]^(١) السلمي عن أبيه، قال الحافظ الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير رافع وهو ثقة، قال: يوشك نار تخرج من حبس سيل تسير بطينة الإبل [تسهر]^(٢) النهار وتقيم الليل. الحديث.

وفي مسند الفردوس عن عمر: لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء أعناق الإبل ببصرى.

قال نور الدين السيد علي السمهودي في تاريخ المدينة: وقد ظهرت هذه النار بالمدينة، واشتهرت اشتهاً بلغ حد التواتر، وتقدمها زلازل مهولة، وأشفق أهل المدينة منها غاية الإشفاق والتجأوا إلى النبي ﷺ، وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة وآخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستائة، أي فيكون قبل قتل [المستعصم]^(٣)، وخراب بغداد بستين، قال: لكنها كانت خفيفة، واشتدت يوم الثلاثاء وظهرت ظهوراً عظيماً ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه في الثالث الأخير منها حدثت زلزلة عظيمة انزعجت القلوب لهيبتها، واستمرت بقية الليل إلى يوم الجمعة، ولها دوي أعظم من الرعد، [فَتَمَوَّجَتِ الْأَرْضُ وَتَحَرَّكَتِ الْجُدُرَانِ]^(٤)، حتى وقع في يوم واحد دون ليلته ثمان عشرة حركة، فسكنت ضحى يوم الجمعة، ولما كان نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها دخان متراكم غشى الأنف سواده، فلما تراكمت الظلمات، وأقبل الليل سطع شعاع النار، وظهر بقريضة بطرف الحرة ترى في صفة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومناثر، وترى رجالاً يقودونها لا تمر على جبل إلا [دَكَّتْهُ]^(٥) وأذا بته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر

(١) وردت في المخطوطة «بسر» والصحيح ما أثبتته.

(٢) وردت في المطبوعة «تسي» والصحيح ما أثبتته.

(٣) وردت في المخطوطة «المستعصم» وهو تصحيف.

(٤) وردت في المطبوعة «فتموج الأرض وتحرك الجدران» وأظن ما أثبت الصحيح.

(٥) وردت في المطبوعة «أدركته».

أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور من بين يديه ، وينتهي إلى محط الركب العراقي ، واجتمع من ذلك ردم صار كالجلبل العظيم ، [وانتهت]^(١) النار إلى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد ، [وشوهد]^(٢) هذه [النار]^(٣) غليان كغليان البحر ، وقال بعض أصحابنا: رأيته صاعدة في [الهواء]^(٤) من نحو خمسة أيام ، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى .

وقال القاضي سنان : وطلعت إلى الأمير - أي أمير المدينة - وكان عز الدين مينف ، وقلت له : قد أحاط بنا العذاب فارجع إلى الله تعالى ، قال : فأعتق كل مملكه ورد على الناس [مظالمهم]^(٥) ، وأبطل المكس ، ثم هبط الأمير إلى النبي ﷺ ، وبات في المسجد ليلة السبت ومعه جميع أهل المدينة حتى النساء والصغار وحتى أهل النخيل ، وباتوا يتضرعون ويكفون ، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤوسهم مقرين بذنوبهم مستجيرين بنبيهم ، فصرف الله عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال ، فسارت من مخرجها وسارت ببحر عظيم من النار وأخذت في وادي أحيلين ، وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ، واستمرت مدة ثلاثة أشهر .

قال المطري : وكانت تذيب الحجر ، ولا تحرق الشجر .

وذكر القسطلاني : أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادي الشظاة ، وهي تسحق ما ولاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصا من قوة الحر وإن طرفها الشرقي آخذ بين الجبال ، فحالت دونها ، فوقفت ، وإن طرفها الغربي وهو الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقال له : [وعرة]^(٦) على قرب من شرقي جبل أحد ، ومضت في الشظاة التي في طرفه وادي حمزة ، ثم استمرت حتى استقرت تجاه حرم النبي ﷺ فطفئت .

(١) في المخطوطة «فأنهت» .

(٢) في المطبوعة «شدهد» وهو تصحيف .

(٣) ساقطة من المخطوطة .

(٤) وردت في المخطوطة «الهوى» .

(٥) وردت في المطبوعة «مطالبهم» .

(٦) وردت في المطبوعة «وعرة» والصحيح ما أثبتته .

قال : وأخبرني من اعتمد عليه أنه عاين حجراً ضخماً من حجارة الحرة كان بعضه خارجاً عن حد الحرم فعلقت بها خرج منه ، فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت ومخدت .

قال : وهذا أولى بالاعتماد من كلام المطري أنها كانت تحرق الحجر دون الشجر وأن رجلاً مدَّ إليها نبلاً فأحرقت النصل ولم تحرق الخشب ، فإن المطري لم يدرك هذه النار .

وقال المؤرخون : واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال ، وتسير سيراً ذريعاً في وادٍ يكون مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامتان ونصف ، هي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنك ، فإذا خمد اسودَّ بعد أن كان أحمر ، ولم يزل [يجمع]^(١) من هذه النار الحجارة المذابة في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى جهة جبل [وعرة]^(٢) ، فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك ولا كسد ذي القرنين يعجز عن وصفه ، [ولا ملك]^(٣) لإنسان فيه ولا دابة .

وقال العماد بن كثير: أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي ، قال : أخبرني والذي صفي الدين مدرّس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بلدة بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبّلهم في ضوء تلك النار مصداق قوله ﷺ وقد كان إقبال هذه النار من جهة مشرق المدينة في جهة طريق السوارقية ، وهناك حبس سيل ، فإنه بين [حرة]^(٤) بني سليم والسوارقية ، وبعد انطفاء النار في هذه السنة احترق مسجد النبي ﷺ ، وزادت دجلة زيادة عظيمة ، فغرق أكثر بغداد [وانهدمت]^(٥) دار الوزير ، وكان ذلك إنذاراً لهم .

وفي السنة التي تلي هذه السنة وقعت الطامة الكبرى ، وهي أخذ التتار لبغداد ،

(١) وردت في المطبوعة «يجمع» والصواب ما أثبتته .

(٢) وردت في المطبوعة «وعرة» والصحيح ما تم إثباته .

(٣) في المطبوعة «ولامك» وهو تصحيف .

(٤) في المطبوعة «عرة» وهو تحريف .

(٥) في المطبوعة «انهدمت» .

وقتل الخليفة [المستعصم]^(١) وبذل السيف ببغداد نيفاً وثلاثين يوماً، وأخرجت الكتب فألقيت تحت أرجل الدواب، وشوهد بالمدينة النظامية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللبن، وخلت بغداد من أهلها واستولى عليها الحريق، واحترقت دار الخلافة وعمّ الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وتربة الرصافة مدفن ولاة الخلافة، ورؤي على بعض حيطانها مكتوباً شعر:

إن ترد عبرة فهذه بنو العبا س دارت عليهم الدائرات
استبيح الحريم إذ قتل الأحياء ء منهم وأحرق الأموات
وقال بعضهم شعراً :

سبحان من أصبحت مشيئته جارية في السورى بمقدار
في سنة أغرق العراق وقد أحرق أرض الحجاز بالنار

ثم كثر الموت [والفناء]^(٢) ببغداد، وطوي بساط الخلافة منها، فلله الأمر من قبل ومن بعد يعزّ من يشاء ويذل من يشاء .

ومنها ظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك وإظهار الطعن واللعن على جناب الصحابة الكرام :

وهذا أعظم الفتن وأشدّ المحن وموت السنن .

فقد روى الدارقطني عن فضيل بن مرزوق عن أبي الحجاج داود بن أبي عوف عن محمد بن عمر بن الحسين عن زينب - يعني بنت علي بن أبي طالب - عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنه ﷺ قال لعلي: «يا أبا الحسن أما إنك وشيعتك في الجنة، وإن قوماً يزعمون أنهم يحبونك، يصغرون الإسلام ثم يرفضونه ويلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية، لهم نبز يقال الرافضة، فإن أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون» .

وأخرجه من طريق أبي الحجاج عن أبي جعفر الباقر عن فاطمة الصغرى عن فاطمة

(١) في المخطوطة «المعتصم» وهو تصحيف .

(٢) وردت في المخطوطة «الفنى» وهو تحريف .

الكبرى عن النبي ﷺ.

ثم قال الدارقطني: ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة كتبناها في مسند فاطمة رضي الله عنها وتقصيناها هناك.

ثم أخرج عن أم سلمة رضي الله عنها نحوه.

وزادت في آخره: «قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف الأول».

وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية والخطيب البغدادي وابن الجوزي، وفي سننه محمد ابن حمادة^(١) ثقة غال في التشيع، روى له الشيخان، ورواه ابن أبي عاصم في السنة وابن شاهين وابن بشران والحاكم في الكنى وخيشمة بن سليمان الطرابلسي في فضائل الصحابة، واللالكائي في السنة كلهم عن عليّ كرم الله وجهه قال: قال لي رسول الله ﷺ: أنت وشيعتك في الجنة، وسيأتي قوم لهم نبز أي لقب يقال لهم الرافضة فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون.

زاد ابن أبي عاصم وابن شاهين في روايتها: «قلت: يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال: يقرظونك أي يمدحونك بما ليس فيك، ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم».

وفي رواية ابن بشران والحاكم: «يتحلون حبك يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم».

وفي رواية خيشمة واللالكائي به قال عليّ: سيكون بعدنا قوم يتحلون مودتنا، تكون علينا مارقة وآية ذلك أنهم يشتمون^(٢) أبا بكر وعمر.

وفي لفظ اللالكائي: لهم نبز يسمون الرافضة، يعرفون به يتحلون شيعتنا، وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر.

وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فإذا رأيتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون.

(١) وردت في المطبوعة «حجارة» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المخطوطة «يسبون».

. ولفظ الطبراني بإسناد حسن عنه كنت عند النبي ﷺ وعنده عليّ فقال ﷺ: «سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت، لهم نيز يسمون الرافضة، فاقتلوهم فإنهم مشركون».

وأخرج أيضاً من طريق أهل البيت عن عليّ رضي الله عنه مرفوعاً: يظهر في أمتي آخر الزمان قوم يسمون [الرافضة]^(٣) يرفضون الإسلام.

وروى خشيش وابن أبي عاصم والأصبهاني عنه كرم الله وجهه قال: يهلك فينا أهل^(٢) البيت فريقان [حُب مفرط وباهت مفتراً]^(٣) وفي لفظ: يهلك في رجلان حُب مفرط يقرظني بما ليس فيّ ومبغض مفرط يحمله شتائي على أن يبهتي.

ورواه أحمد في مسنده بهذا اللفظ.

وفي رواية: يحبني قوم حتى يدخلهم حبي النار، وكل حُب لنا غال، وفي لفظ: يقتل في آخر الزمان كل من على رأي عليّ وحسن. وفي لفظ: كل من على رأي حسن وأبي حسن، وذلك إذا أفرطوا فيّ كما أفرطت النصارى في عيسى بن مريم فانتالوا على ولدي فأطاعوهم طلباً للدنيا.

وأخرج محمد بن سقوة عنه كرم الله وجهه قال: تفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا، وصح أن من أشرط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها، ومن فتن هذه الطائفة أنهم قتلوا العلماء بأكثر البلاد بل ونبشوا قبورهم واستهانوا^(٤) بكثير من مشاهد هذه الأمة^(٥) حين استولوا على بغداد وولاية^(٦) شيراز وغيرها وناهيك أن شيراز كان دار العلم والسنة والآن صار معدن الرفض وحصر هؤلاء العبادة والدين في السب وضموا إلى الصحابة والسلف الصالح وأئمة المذاهب، فلم

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «أهلي» والصواب ما أثبتته.

(٣) العبارة ساقطة من المخطوطة.

(٤) وردت في المخطوطة «أهانوا» والصواب ما أثبتته.

(٥) وردت في المخطوطة «الأئمة» وهو تصحيف.

(٦) وردت في المطبوعة «ولارو» وهو تحريف.

يتركوا أحداً من أهل السنة والجماعة حياً وميتاً إلا وسبوه على المنابر والمناثر ويدعون أنهم شيعة عليّ وينتحلون حب أهل البيت وليسوا من ذلك في شيء فإن من علامة المحب الاقتداء بمن يحبه وأدنى صفاته كرم الله وجهه الزهد في الدنيا وعدم شق عصا الإسلام.

وعن موسى بن علي بن الحسين ابن عليّ عليهم السلام وكان فاضلاً عن أبيه عن جده قال : إنما شيعتنا من أطاع الله تعالى وعمل مثل أعمالنا .

وقد ورد غير ما حديث في مدح شيعته وإنهم يدخلون الجنة معه منها ما مر ومنها ما رواه الإمام عليّ بن موسى الرضى عن آبائه عن عليّ عليهم السلام^(١) أن رسول الله ﷺ قال له : «أنت وشيعتك تردون عليّ الخوض [رواء مرويين ، مبيضة وجوهكم ، وإن عدوكم يردون عليّ الخوض ظماء مقمحين»^(٢) أخرجه الطبراني في الكبير بسند ضعيف .

وما روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾^(٣) قال النبي ﷺ : [لعلي] : هو أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين ، فقال : ومن عدوي ؟ قال : من تبرأ منك ولعنك فقد بينّ عدوه وأن من لم يفعل ذلك ، فهو من شيعته لا من عدوه وقد بينّ عليّ كرم الله وجهه صفات شيعته وعلاماتهم حتى لا يلتبس بهم مدع^(٤) .

فقد روى الدينوري وابن عساكر عن المدائني قال : نظر عليّ بن أبي طالب إلى قوم يبابه فقال لقنبر : يا قنبر من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء شيعتك ، قال : وما لي لا أرى فيهم سبياً الشيعة ؟ قال : وما سبياً الشيعة ؟ قال : خصم البطون من الطوى يبس الشفاه من الظمأ عمش العيون من البكاء .

وقد صح عنه كرم الله وجهه قوله : لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن .

(١) وردت في المخطوطة «رضوان الله» .

(٢) هذه العبارة ساقطة من المطبوعة .

(٣) سورة البينة ، الآية : ٨ .

(٤) ساقطة من المطبوعة .

وروى صاحب المطالب العالية عن نوف البكالي أن أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه خرج يوم^(١) المسجد، وقد أقبل إليه جندب بن نضير بن نصير والربيع بن خيثم وابن أخيه همام ابن عباد بن خيثم، وكان من أصحاب البرانس المتعبدین فأفصى عليٌّ وهم معه إلى نفر فأسرعوا إليه قياماً وسلّموا عليه فردّ التحية، ثم قال: من القوم؟ فقالوا: أناس من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم: خيراً ثم قال: يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحببنا، فأمسك القوم حياء فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له: ما سمة شيعتكم يا أمير المؤمنين فسكت، فقال همام، وكان عبداً مجتهداً: أسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأنا بصفة شيعتكم قال: فسأنبئكم جميعاً، ووضع يده على منكب همام وقال: شيعتنا هم العارفون بالله، العاملون بأمر الله، أهل الفضائل الناطقون بالصواب، مأكولهم القوت، وملبوسهم الاقتصاد، ومشيههم التواضع، نجعوا لله بطاعته، وخضعوا إليه بعبادته، مضوا غاضين أبصارهم، عما حرم الله عليهم، موقفين أسماهم على العلم بدينهم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت منهم في الرخاء، رضاء عن الله بالقضاء فلولا الأجل التي كتب الله تعالى لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى لقاء الله تعالى والثواب، وخوفاً من أليم العقاب، عظم الخالق في أنفسهم، وصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها فتكثون، وهم والنار كمن رآها فهم فيها يعذبون، صبروا أياماً قليلة فأعقبهم راحة طويلة، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وطلبتهم فاعجزوها، أما الليل فصافون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن ترتيلاً، يعطون أنفسهم بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة، وتارة مفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يمجدون جباراً عظيماً، ويجأرون إليه في فكاك رقابهم. هذا ليلهم، فأما نهارهم فحكماء علماء، بررة أتقياء، براهم خوف بارئهم، فهم تحسبهم مرضى، أو قد خولطوا أو ما هم بذلك، بل خامرهم من عظمة ربهم، وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم، وذهلت منه عقولهم، فإذا استفاقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزكية، لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، ترى لأحدهم قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في

(١) في المطبوعة «يوم».

يقين، وحرصاً على علم وفهماً في فقه وعلماً في حلم، وكيساً في قصد وقصداً في غناء، وتجملاً في فاقه، وصبراً في شدة، وخشوعاً في عبادة، ورحمةً لمجهود، وإعطاء في حق، ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، واعتصاماً في شهوة، لا يغيره ما جهله، ولا يدع إحصاء ما عمله، يستبطن نفسه في العمل، وهو من صالح عمله على وجل، يصبح وشغله الذكر، ويمسي وهمه الشكر، يبيت حذراً من سنة الغفلة، ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة، رغبته فيما يبقى وزهادته فيما يفنى وقد قرن العمل بالعمل، والحلم^(١) بالعلم دائماً نشاطه بعيداً كسله قريباً أمل، قليلاً زلله، متوقفاً أجله، خاشعاً قلبه^(٢)، ذاكراً ربه، قانعة نفسه، محرزاً دينه كاظم غيظه، آمناً منه جاره، سهلاً أمره، معدوماً كبره، بيناً صبره كثيراً ذكره لا يعمل شيئاً من الخير رياء، ولا يتركه حياء أولئك شيعتنا، وأحبتنا ومنا ومعنا إلا ما شوقاً إليهم.

فصاح همام صبيحة، فوق مغشياً عليه، فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا، فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين، ومن معه رحمه الله فهؤلاء هم شيعته لا من لا يعلم من دينه إلا حلق اللحية، أو قصها وتعمير القدرة بالتبناك، ومصها وسب الشيخين^(١)، وبغضهما ورفع النصير المنجم، وخفضهما والطعن على الصحابة، والصدور الأول، والتمسك بأكاذيب ما عليها معول، ونسبة أم المؤمنين الصديقة عائشة المبرأة في عشر آيات^(٢) من القرآن إلى الفاحشة، ولنعم ما قال زين العابدين علي بن الحسين السجاد رضي الله عنه لجماعة نالوا من الصحابة عنده: هل أنتم من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً؟ الآية^(٣) قالوا: لا قال: هل أنتم من الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم؟ الآية^(٤) قالوا: لا. قال: فأنأ أشهد بين يدي الله يوم القيامة إنكم لستم من الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان، فممن أنتم نسأل الله العفو والعافية في الدارين، ونعوذ به من الخذلان والمكر والاستدراج، ومن يضل الله فما له من هاد.

(١) يقصد بهما أبي بكر وعمر بن الخطاب.

(٢) وردت في المطبوعة «بضع عشرة آية».

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ...﴾ [آل عمران: ١٩٥].

(٤) وهي قوله تعالى: ﴿... وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُتُوا﴾ [الحشر: ٩].

ومن هنا خروج دجالين كذابين كلهم يدعي أنه رسول الله كما أخبر به ﷺ .

فقد روى أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان، وهو طرف من حديث أخرجه [مسلم]^(١) عن ثوبان أنه ﷺ قال: «سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي» وفي رواية البخاري^(٢): «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان، دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله» .

ولأحمد وأبي يعلى من حديث عبدالله بن عمرو: بين يدي الساعة ثلاثون دجالاً كذاباً .

وفي حديث علي عند أحمد نحوه .

وفي حديث ابن مسعود عند الطبراني نحوه .

وفي حديث سمرة: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال . أخرجه أحمد والطبراني وأصله عند الترمذي وصححه .

وفي حديث ابن الزبير: إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً، منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة يعني مسلمة .

وفي حديث عبدالله بن عمرو: ثلاثون كذاباً أو أكثر قلت: ما آيتهم؟ قال: يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها يغترون ستركم فإذا رأيتموهم فاجتنبوهم .

وفي رواية عبد الله بن عمرو عند الطبراني: لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذاباً . ونحوه عند أبي يعلى من حديث أنس .

قال الحافظ ابن حجر: وسندهما ضعيف وهو إن ثبت محمول على المبالغة لا على التحديد .

(١) ساقطة من المطبوعة .

(٢) انظر كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام رقم: ٣٤١٣ . ولفظه في الصحيح: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة» وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة، باب: إذا توجه المسلمان بسيفهما، رقم: ١٥٧ .

وأما التحديد ففيما أخرجه أحمد عن حذيفة بسند جيد: سيكون في أمتي كذابون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي .

وهذا يدل على أن رواية الثلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر ويؤيده حديث البخاري المار قريب من ثلاثين ، قال : ويحتمل أن يكون ما ذكر من الثلاثين أو نحوها يدعون النبوة ، ومن زاد عليهم كما في رواية أو أكثر ، ورواية : سبعون يكون كذاباً فقط لكن يدعون إلى الضلالة كغلاة الرافضة والباطنية والحلولية وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به محمد ﷺ ، قال : ويؤيده أن في حديث عليّ عند أحمد فقال عليّ لعبد الله بن الكوا : وإنك لمنهم . وابن الكوا لم يدع النبوة إنما كان يغلو في الرفض ، انتهى .

قلت : ويؤيده أيضاً ما في حديث ابن عمرو المار ، قلت : وما آيتهم ؟ قال : يأتونكم بسنة لم تكونوا عليها . . . الخ .

وقد كان منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء ، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة كما أخبر به ﷺ ، [وقد مرّ آنفاً في حديث الزبير ، وكان من خبرهما كما ذكره البقاعي في (اللامعة المنيرة) أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع ، حصل له مرض عوفي منه ، ثم مرض عن قريب مرض الموت ، فطارت الأخبار في ذلك المرض الأول بأنه ﷺ قد اشتكى فادّعى الكذابان ما ادعيا ، وفعلا من الشر ما فعلا ، فبلغ النبي ﷺ خبرهما وهو مريض بعد ما ضرب بعث أسامة رضي الله عنه فخرج ﷺ عاصباً رأسه ، فقال : «إني رأيت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفضتهما فطارا فأولهما الكذابين الذين أنا بينهما صاحب اليمن وصاحب اليمامة» ، فارتد العنسي في مذبح وكان صاحب شعبذة يظهر بها عجائب ، وله شيطانان يخبران به غالب أسرار الناس ، يقال لأحدهما «سحيق» وللآخر «شفيق» ، وله منطق حلو ، فغلب على اليمن في ناحية صنعاء ، وهرب منها أمراؤه ﷺ وكان يقال له «ذو الخمار» لأنه لا يزال متبرقعا معمماً وقيل «ذو الخمار» بالمهملة لأنه كان له حمار معلّم يقال : اسجد لربك فيسجد ، ويقال له : ابرك فيرك ، ولما سمع أهل نجران خبر الأسود أرسلوا إليه فدعوه إلى بلادهم فجاءهم فتبعوه وارتدوا عن الإسلام ، ثم أخذ منهم ستائة وسار بهم إلى صنعاء فغلب عليها ، ونزل غمدان واستنزل الأبناء ، وأما مسيلمة الكذاب فخرج في بني حنيفة ونازعه قومه ، فقال : «إني أشركت في الأمر

وجعل يسجع لهم بما يضاهي القرآن بزعمه فاستخفهم، فلما مالوا إليه أسقط عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا، ونحو ذلك، وكثر أتباعه وكتب النبي ﷺ إلى الأبناء في أمر الأسود، وكانوا قد ثبتوا على الإسلام، فقتله فيروز الديلمي غيلة بمواطاة زوجته المرزبانة، وقد كان قهرها على نكاحها، وكانت من الخيرات ومن عظماء أهل فارس، ونادوا بالأذان عند الصباح، فقالوا: نشهد أن الأسود كذاب وشنوها غارة، فتراجع أصحاب النبي ﷺ، وتفرق أصحابه فقتلوا منهم خلقاً، وجاء النبي ﷺ خبر السماء بذلك، فأخبر الناس به قبل موته بيوم أو ليلة، وقيل: بخمسة أيام ثم وصل الكتاب بذلك بعد موته ﷺ بعشرة أيام، وكانت مدة الأسود أربعة أشهر، وأما مسيلمة فغزاه خالد بأمر أبي بكر رضي الله عنهما، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وصالح بقيتهم على ربع الخيل والسلاح، وقتل من الصحابة رضي الله عنهم خلق كثير من قراء القرآن، وكان ذلك سبب جمع أبي بكر القرآن في الصحف^(١).

وكذا ابن الصياد إن قلنا: إنه ليس الدجال الكبير كما هو ظاهر حديث الجساسة التي رآها تميم الداري، وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، [وسياقي بحقيقه]^(٢).

وخرج في زمن أبي بكر طليحة بن خويلد [الأسدي في بني أسد بناحية خيبر وأزهرهم غطفان]^(٣) وادعى النبوة، ثم تاب ورجع إلى الإسلام، كذا قال في فتح الباري.

لكن عند ابن عساكر من طرق أنه خرج في عهد النبي ﷺ، فوجه إليه النبي ﷺ ضرار ابن الأزور، فأشجوا طليحة وأخافوه، ثم جاءهم موت النبي ﷺ فأرفض الناس إلى طليحة، واستطار أمره [فلم يقدرُوا عليه، حتى غزاه خالد بأمر أبي بكر رضي الله عنهما، فهزمه خالد فهرب منه إلى الشام إلى ملوك غسان! ثم رجع إلى الإسلام، وحسن إسلامه]^(٤) فعلى هذا نسبة خروجه إلى زمان أبي بكر لاستطارة أمره فيه.

وتنبأت أيضاً سجاح بنت سويد بن يربوع في فرسان تغلب واتفقت تميم كلها على

(١) هذا الكلام ساقط من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

(٤) ساقطة من المخطوطة.

نصرهما، وفيهم رؤساء الناس كالأحنف بن قيس وحارثة بن بدر ونظراؤهما، وفيها يقول
عطارد بن حاحب:

أضحت نيتنا أنثى نظيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

فركبت على ذباب، وقتلت فيهم قتلاً ذريعاً، ثم قصدت البيامة فلما سمع مسيلمة
ضاق ذرعاً، وتحصن فأحاطت جيوشها به فاستشار وجوه قومه، فقالوا: الرأي تسلّم
الأمن إليها، وتنجو بنفسك، فقال: سأنظر في أمري، ثم أرسل إليها يقول: أما بعد.
فإنه أنزل عليك وحى وعليّ وحى فهلّم نتدارس ما أنزل علينا، فمن غلب صاحبه اتبعه
الأخر، فأجابته إلى ما طلب، فضرب لها قبة من آدم، وأمر بالعود المندب فأحرق،
وقال: كثروا لها الطيب، فإن المرأة إذا شمّت الطيب تذكّرت الباه، فانتهدت إلى القبة
وسألتها عما أنزل فقال: ألم ترّ إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من
بين صفاق وحشي وأمات وأحيى، وإلى الله المنتهى. قالت: ثم ماذا؟ قال: ألم ترّ أن
الله خلقنا أزواجاً وجعل النساء لنا أزواجاً نولج فيهن إيلاجاً، ونخرج منهن إذا شئنا
إخراجاً، فضحكت فأنشأ يقول:

ألا قومي إلى المخدع فقد همى لك المضجع
فإن شئت فرشناك وإن شئتى على أربع
وإن شئتى بثلاثيه وإن شئتى به أجمع

قالت: بل به أجمع، قال: كذلك أمرت، وواقعها، فلما قام عنها، قالت: إن مثلي
لا تنكح هكذا، فإنه وصمة على قومي، ولكنني مُسلّمة إليك النبوة، فإذا سلّمته إليك
فاخطبني إلى أوليائي، ففعلت واتبعته فتزوجها، وسألوه عن المهر؟ قال: قد وضعت
عنكم صلاة العصر.

قال الرشاطي: فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلون صلاة العصر، ويقولون: مهر
كريمة لنا لا نرده وفي ذلك قال الشاعر:

أن سجاح لاقت الكذابا بنية فحلّت الكتابا
وجعلت كعبتها قرابا أوقب فيه إبرة إيقابا

ثم رجعت إلى الإسلام في زمن معاوية وحسن إسلامها^(١).

خرج المختار في زمن ابن الزبير وعبد الملك فإنه كان يدّعي أنه يوحى إليه ويكتب في مكاتيبه، من المختار رسول الله ﷺ، وحكاياته ووقائعه وفتنته كثيرة شهيرة، عن عدي بن خالد أنه ﷺ قال: «أحذركم الدجالين الثلاثة قيل: يا رسول الله قد أخبرتنا عن الدجال الأعور وعن أكذب الكذابين، فمن الثالث؟ قال: رجل من قوم أولهم مشبور وآخرهم مشبور وعليهم اللعنة دائبة في فتنة يقال لها: الجارفة وهو الدجال الأكلس يأكل عباد الله بآل محمد، وهو أبعد الناس من سنته» رواه ابن خزيمة والحاكم والطبراني.

وعن أسماء: يخرج من ثقيف ثلاثة الذيال والكذاب والمبير^(٢) رواه نعيم بن حماد.

وفي رواية: يخرج من ثقيف كذاب ومبير، قالوا: الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، والمبير هو الحجاج بن يوسف الثقفيان.

وخرج المتنبي الشاعر المشهور ثم تاب.

وخرج جماعة في زمن بني العباس، منهم في أيام المعتمد قائد فتنة الزنج بهبود^(٣) لعنه الله، الذي أفسد في العراق، وأهان آل الرسول، وستأتي الإشارة إلى أحواله في أواخر هذا الباب، كان يدّعي أنه أرسل إلى الخلق، فردّ الرسالة وأنه مُطْلَعٌ على المغيبات.

وفي خلافة المكتفي خرج يحيى بن زكرويه القرمطي، ثم بعده أخوه الحسين، وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته وجاء ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر، وأنه المعني في السورة، ولقب غلاماً له «المطوق بالنور» فظهر على الشام وعاث وأفسد ودعا له الناس على المنابر، ثم قتل عليه^(٤) لعنة الله تعالى.

وخرج في خلافة المقتدر أبو طاهر القرمطي، الذي قلع الحجر الأسود وكان يقول:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «المنبر» وهو تصحيف.

(٣) وردت في المطبوعة «بهود».

(٤) وردت في كل من المخطوطة والمطبوعة «إلى» والصحيح ما أثبتته.

وستأتي الإشارة إلى فتنته .

وفي خلافة الرازي ظهر محمد بن علي السلمغاني^(١) المعروف بابن أبي العراق، وقد شاع عنه أنه يدّعي الإلهية، وأنه يحيي الموتى فقتل وصلب، وقتل معه جماعة من أصحابه .

وظهر في خلافة المطيع قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه، وإمرأته تزعم^(٢) أن روح فاطمة انتقلت إليها، وآخر يدّعي أنه جبريل فضربوا فتعزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم .

وفي خلافة المستظهر في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، ظهر رجل بنواحي نهاوند وادّعى النبوة، وتبعه خلق فأخذ وقتل .

وخرج جماعة آخرون بالمغرب وغيرها في الرجال والنساء فمنهم رجل تسمى بلا وحرف الحديث المشهور «لا نبي بعدي» فجعله إخباراً منه ﷺ بأن لا أي صاحب هذا الاسم نبي بعدي ويقول إلا لا في الحديث مبتدأ ونبي خبره .

[ومنهم]^(٣) امرأة ادّعت النبوة، فذكروا لها الحديث، فقالت : إنما قال : لا نبي ولم يقل لا نبية إلى غير ذلك .

والحاصل أن عدد سبعة وعشرين قد تم أو كاد يتم ، وأما مطلق الكذابين فلا حصر لهم ، ومن هذا القسم من يدّعي أنه مهدي ، وهؤلاء أيضاً كثيرون ، ومنهم من ادّعى أنه صحابي رأى النبي ﷺ كالمعمر المشهور والرتن الهندي^(٤) ، ولا شك أن ما أخبر به الصادق لصديق وأن الدين لواقع .

ومنها فتح بيت المقدس

عن عرف بن مالك مرفوعاً : أعدد بين يدي الساعة ستاً : موتي ، وفتح بيت المقدس

(١) وردت في المطبوعة «السلفاني» وهو تحريف .

(٢) في المطبوعة «يرغم» وهو تحريف .

(٣) سافطة من المخطوطة .

(٤) وردت في المطبوعة «بربن العدى» وهو تصحيف .

وقد فتح مرتين مرة في زمن عمر، ومرة في زمن الأكراد الأيوبية فتحه^(١) السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الملك الناصر، وكان من أعظم فتوح الإسلام ثم بعد موته رده بعض أولاده إلى النصارى، ثم استرده حفيده داود الملك الناصر، وأنشد في ذلك بعض الشعراء يهنيه :

المسجد الأقصى له عادة	سارت فصارت مثلاً سائراً
إذا غدا بالكفر مستوطناً	أن يبعث الله له ناصراً
فناصر طهره أولاً	وناصر طهره آخراً

ومنها فتح المدائن

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنه لا تقوم الساعة حتى يفتح القصر الأبيض الذي في المدائن ، ولا تقوم الساعة حتى تسير الظعينة من الحجاز إلى العراق آمنة ، لا تخاف شيئاً» .

قال عدي : فقد رأيتها جميعاً ، وكان وقوعها في زمن عمر رضي الله عنه .

ومنها هلاك العرب

أعني زوال ملكهم .

عن طلحة بن مالك قال : من اقتراب الساعة هلاك العرب ، رواه الترمذي .

وقد زال ملك العرب بزوال الملك عن بني العباس ، وقد مر .

ومنها كثرة المال وفيضه

روى الشيخان^(٢) عن أبي هريرة «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال فيكم ، فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه : لا أرب ،

(١) وردت في المطبوعة «فيتجه» وهو تحريف .

(٢) البخاري ، كتاب الزكاة ، باب : الصدقة قبل الرد ، رقم : ١٣٤٦ . مسلم ، كتاب الزكاة ، باب : الترغيب

في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ، رقم : ١٥٧ .

[أي] ^(١) لا حاجة لي فيه .

وهذا وقع في زمن عثمان ، كثرت الفتوح حتى اقتسموا أموال الفرس والروم ، ووقع في زمان عمر بن عبد العزيز ، أن الرجل يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته ، وسبق في آخر الزمان في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وسيأتي في القسم الثالث .

ومنها أن تزول الجبال عن أماكنها

روى الطبراني عن سمرة رضي الله عنه : « لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها » .

نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء ^(٢) ، أن في سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين في خلافة المتوكل ، سار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين ، وفي سنة ثلثمائة في خلافة المقتدر ساهج جبل بدينور في الأرض ، وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى .

ومنها وقوع ثلاث خسوفات

عن أم سلمة رضي الله عنها « سيكون بعدي خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف في جزيرة العرب ، قيل : أتخسف الأرض وفيهم الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا أكثر أهلها ^(٣) الخبث » رواه الطبراني .

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال : أطلع علينا رسول الله ﷺ ونجنا نتذاكر الساعة ، فقال : « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات » . فذكر منها ثلاث خسوفات خسفاً بالمشرق ، وخسفاً بالمغرب ، وخسفاً بجزيرة العرب ، رواه الستة إلا البخاري ، وقد وقعت الخسوفات الثلاثة ، [فوقع في خلافة سليمان بن عبد الملك ، أنه ورد كتاب ابن هبيرة فيه أن ببخارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة ، من السماء ، ودوي كالرعد القاصف أسقطت منه الحوامل ، فنظروا فإذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ، ونزل أشخاص عظام رؤوسهم في السماء ، وأرجلهم في الأرض وقائل يقول : يا أهل الأرض

(١) ساقطة من المطبوعة .

(٢) انظر تاريخ الخلفاء : ٤٤٨ .

(٣) وردت في المطبوعة «كثر الخبث» .

اعتبروا بأهل السماء هذا صفواثيل الملك عصى الله فعذب، فلما طلع النهار أتى الناس إلى ذلك الموضع، فوجدوا خسفاً عظيماً لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود أثبت ذلك على قاضي بخارى بأربعين عدلاً، كذا في السكردان وفيه شيء لقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم لكن تجوزه قصة هاروت وماروت، والله قادر على كل شيء.

وفي سنة ثمان ومائتان خسف ثلاث عشرة قرية بالمغرب.

وفي سنة أربع وثلاثين وثمانمائة في شعبان وقعت زلزلة بغرناطة، وخسف بعدة أماكن وانهدم بعض ذكر ذلك في أنباء الغمر^(١). وفي خلافة المطيع في سنة ست وأربعين وثلثمائة وقع بالري وتواحيها زلازل عظيمة، وخسف ببلد طالقان، ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين نفساً، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض عظام الموتى، وتفجرت فيها المياه، وتقطع بالري جبل، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار، ثم خسف بها، وانخرقت الأرض خروفاً عظيمة، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم، كذا نقله السيوطي عن ابن الجوزي.

وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة خسفت^(٢) قرية من أعمال بصرى.

وفي سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة خسف بلد بحيرة، وصار مكان البلد ماء أسود، خسف في زماننا بعدة قرى من ناحية أذربيجان وخراسان وغيرها من ديار العجم، ولا تكاد تنحصر الخسوفات.

ومنها كثرة الزلازل وكثرة القتل والرجف

عن أبي هريرة رضي الله عنه «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل» رواه البخاري^(٣) وابن ماجه.

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «خسف» والصواب ما أثبتته.

(٣) انظر البخاري كتاب الاستسقاء، باب: ما قيل في الزلازل والآيات، رقم: ٩٨٩.

وعند ابن عساكر عن عروة ابن رويم عن الأنصاري عنه عليه السلام: «يكون في أمتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف عشرون ألفاً ثلاثون ألفاً يجعلها الله موعظة للمتقين، ورحمة للمؤمنين وعذاباً للكافرين».

وقد وقع في خلافة المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين زلزلة مهولة بدمشق، سقطت منها دور، وهلك تحتها خلق، وامتدت إلى إنطاكية فهدمتها، وإلى الجزيرة فأحرقتها، وإلى الموصل فيقال: هلك من أهلها خمسون ألفاً.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها، وخراسان ونيسابور وطبرستان وأصبهان، وتقطعت الجبال، وتشققت الأرض بقدر ما يُدخل^(١) الرجل في الشق، وكان بين الزلزلتين عشر سنين.

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين عمّت الزلازل الدنيا فأخربت المدن والقلاع والقناطر، وسقط من أنطاكية جبل في البحر.

وفي خلافة المعتضد سنة مائتين وثمان وقعت في الديبل زلزلة عظيمة، هُدمت عامة البلد، فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفاً.

وفي سنة أربع مائة وستين وقع بالرملة زلزلة هائلة خربتها، حتى طلع الماء من رؤوس الآبار، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً، وبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون، فرجع الماء عليهم فأهلكهم.

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقعت زلزلة عظيمة، وماجت بغداد نحو عشر مرات، وتقطع بحلوان منها جبل.

وفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة، فأخربت أماكن كثيرة وقلاعاً متعددة.

وفي سنة اثنتين وخمسمائة وقعت زلازل عظيمة بالشام وحلب وشيراز وأنطاكية وطرابلس، وهلك خلق كثير، حتى أن معلماً بحياة قام من المكتب ثم عاد، فوجد

(١) في المطبوعة «دخل» وهو تصحيف.

المكتب. قد وقع على الصبيان فماتوا كلهم، ولم يأت أحد يسأل على ولده، لأن أهلهم ماتوا أيضاً، وهلك كل من في شيراز إلا امرأة وخادماً واحداً، وانشق تل في حران فظهر فيه بيوت وعمائر ونواويس، وانشق في اللاذقية موضع فظهر فيه صنم قائم في الماء، وخربت صيدا وبيروت وطرابلس وعكا وصور وجميع بلاد الفرنج، وانفرد البحر إلى قبرص وقذف المراكب إلى ساحله وتعدى إلى ناحية الشرق، ومات خلق كثير.

قال صاحب «المرآة»: مات في هذه السنة نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان، كذا في الشكردان^(١).

وفي سنة اثنتين وستين وستمائة زلزلت مصر زلزلة عظيمة، وقد مرت الزلزلة الواقعة بالمدينة قبل خروج النار بها.

ووقعت في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بحيرة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها، فأهلكت خلائق كثيرة [والله يفعل ما يشاء]^(٢).

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وقع بآزر نكان زلزلة عظيمة، وهلك بسببها عالم كثير والله يفعل ما يشاء. فهذه هي الزلازل العظام والرجفات التي اعتني بنقلها في كتب التواريخ، وأما الزلازل الصغار فلا تكاد تنحصر، وبالله التوفيق.

ومنها المسخ والقذف

عن ابن عمر مرفوعاً: «يكون في أمتي خسف وقذف» رواه أحمد ومسلم والحاكم^(٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف» رواه ابن ماجه.

وعن أبي أمامة: «ليبتن أقوام من أمتي عن أكل وهو ولعب، ثم ليصبحن قردة وخنازير» رواه الطبراني.

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المطبوعة.

(٣) انظر: المستدرک: ١٩٧/٢.

وعن عائشة [رضي الله عنها]^(١): «يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف قيل: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث» رواه الترمذي.

وعن عبد الرحمن بن صحرار عن أبيه: «لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل، حتى يقال: من بقي من بني فلان؟» رواه أحمد والبخاري وابن [قانع]^(٢) والطبراني والحاكم وغيره.

وعن ابن عمر [رضي الله عنهما]^(٣): «يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف» رواه الترمذي وابن ماجه.

أما الخسف فقد مر، وأما المسخ فقد وقع لأشخاص.

فقد صح الخبر عن غير واحد أن في زمن فاطمية مصر، كانوا يجتمعون بالمدينة يوم عاشوراء في قبة العباس، ويسبّون الشيخين والصحابه، فجاء رجل فقال: من يطعمني في محبة أبي بكر؟ فخرج إليه شيخ وأشار إليه أن اتبعني، فأخذه إلى بيته وقطع لسانه، ووضعه في يده، وقال: هذه لمحبة أبي بكر، فذهب الرجل إلى المسجد، وسلّم على رسول الله ﷺ والشيخين بقلبه، ورجع لسانه في يده، فقعده حزينا عند باب المسجد، وغلبه النوم فرأى النبي ﷺ في منامه، ومعه أبو بكر فقال لأبي بكر: إن هذا قطعوا لسانه في محبتك، فردّ عليه لسانه، قال: فأخرج لسانه من يده ووضعه في محله، فانتبه فإذا لسانه كما كان قبل القطع وأحسن، فلم يخبر أحداً بذلك، ورجع إلى بلاده، فلما كان العام القابل رجع إلى المدينة، ودخل القبة يوم عاشوراء، وطلب شيئاً لمحبة أبي بكر، فخرج إليه شاب وقال: اتبعني فتبعه فأدخله الدار التي قطع فيها لسانه، فأكرمه الشاب فقال الرجل: إني تعجبت من هذا البيت لقيت فيه العام الماضي مصيبة ومهانة، وهذه السنة لقيت ما أرى من الإكرام، فقال الشاب: كيف القصة فأخبره بالقصة [فانكب]^(٤) على يديه ورجليه، وقال: ذلك أبي وقد مسخه الله قرداً، وكشف عن

(١) ساقطة من المطبوعة.

(٢) وردت في المطبوعة «قانع» والصواب ما أثبت.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

(٤) وردت في المطبوعة «فاكب» وهو تحريف.

ستاره، فأراه قرداً مربوطاً فأحسن إليه وتاب عن مذهبه، وقال: اكتم عليّ أمر والدي.
ذكر هذه القصة السيد السمهودي وابن حجر في الزواجر والصواعق والقسطاني في
المواهب اللدنية وغيرهم.

وذكر في الزواجر أنه كان بحلب رجل سبّاب للشيخين فلما مات اتفق شباب على أن
ينبشوا قبره، فلما نبشوه رأوه قد مسخ خنزيراً، فأخرجوه ثم أحرقوه بالنار، [ويقال: كل
رافضي إلا ويمسخ في قبره خنزيراً والله أعلم^(١)].

وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء^(٢) أن في سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة في خلافة
المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر، ورد كتاب من حلب يتضمن أن
إماماً قام يصلي وأن شخصاً عبث به في صلاته، فلم يقطع الإمام الصلاة، حتى فرغ،
وحين سلّم انقلب وجه العايب وجه خنزير، وهرب إلى غابة هنالك، وكتب بذلك
محضراً.

وأما القذف فقد نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء^(٣) أن في سنة خمس وثمانين ومائتين
مطرت قرية بالبصرة حجارة سوداء وبيضاء، ووقع برد، ووزن البردة مائة وخمسون
درهماً.

وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين رجمت قرية السويداء بالحجارة، وزن حجر من
الحجارة فكان عشرة أرتال.

وفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة في خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء ببغداد، واشتد
الرعد والبرق، وسقط رمل وتراب كال مطر.

[وأخبرني ثقة أن في سنة نيف وستين بعد الألف مطرت حجارة سوداء كثيرة عريضة
قدر بيض الدجاج وأكبر في الصيف، والسماء مصحبة ببلاد الأكراد بين هيزان وكفرا،
وكان يسمع لها حس من مسافة يوم.

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) انظر: تاريخ الخلفاء: ٤٩٩.

(٣) انظر تاريخ الخلفاء:

وفي وسط شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ورد كتاب إلى مصر من حماة يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين من عمل حماة برد على صور حيوانات مختلفة، فيها سباع وحيات وعقارب وطيور ومعز وبلشون، ورجال في أوساطهم حوابع، وإن ذلك ثبت بمحضر شرعي عند قاضي الناحية، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة كذا في السكردان، والله يفعل ما يشاء^(١).

ومنها الريح الحمراء أي الشديدة والأمور العظام

عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا اتخذ الفقيه دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرمًا، وتعلم لغير دين وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وأذى^(٢) صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً» رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن حوالة عن النبي ﷺ: «إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من يدي هذه إلى رأسك» رواه أبو داود والحاكم.

وهذا إن أريد بالخلافة النازلة إلى الأرض المقدسة مُلك بني أمية، فقد وقع من الأمور العظام ما سنذكر بعضها، وإن أريد خلافة المهدي فالمراد بها الآيات القريبة إلى الساعة كالذابة وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك.

أما الريح ففي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين في أول خلافة المتوكل هبت بالعراق ريح شديدة السموم، ولم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين، ودامت خمسين يوماً واتصلت بهمدان فأحرقت الزرع [والمواشي]^(٣)، واتصلت بالموصل وسنجار، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «أدنى» وهو تصحيف.

(٣) وردت في المطبوعة «والمواشي» وهو تحريف.

الطرقا، وأهلكت خلقاً عظيماً.

وفي سنة ثمانين ومائتين في شوال في خلافة المعتضد أصبحت الدنيا مظلمة إلى العصر، فهبّت ريح سوداء فدامت إلى ثلث [الليل]^(١)، وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت [عامه]^(٢) بلد [الدثيل]^(٣).

وفي سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافته هبت ريح صفراء بالبصرة، ثم صارت خضراء، ثم صارت سوداء، وامتدت في [الأمصار]^(٤).

وفي خلافة المقتدر جاءت ريح سوداء ببغداد، واشتد الرعد والبرق^(٥) حتى ظن أنها القيامة.

وفي خلافة المستظهر هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت الأنفاس، حتى لا يبصر الرجل يده، ونزل على الناس رمل، وأيقنو بالهلاك، ثم انجلى قليلاً وعاد إلى الصفر.

[وفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة طلعت سحابة على بلد الموصل، فأمطرت ناراً وأحرقت ما نزلت عليه، وظهر بالعراق عقارب طيارة، فقتلت خلقاً عظيماً ذكره ابن أبي حجلة]^(٦).

وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة هبت ريح سوداء مظلمة بمكة عمت الدنيا، ووقع على الناس رمل أحمر، ووقع من الركن اليماني قطعة.

[وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة في ولاية الأشرف برسباني هبت بمصر ريح بزقة تحمل تراباً أصفر إلى الحمرة، وذلك قبل غروب الشمس فأحمر الأفق جداً، بحيث صار

(١) وردت في المطبوعة «البل» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «عاملة» وهو تحريف.

(٣) وردت في المطبوعة «الدليل» وهو تحريف.

(٤) وردت في المطبوعة «الأمطار» بالطاء وهو تحريف.

(٥) وردت في المخطوطة «ابرق» وهو تحريف.

(٦) ساقطة من المخطوطة.

من لا يدري يظن أن بجواره حريقاً، وصارت البيوت كلها ملأى تراباً ناعماً جديداً، يدخل الأنوف والأمتعة، ثم لما تكامل غيبوبة الشفق، وعصفت الرياح وكانت المعلقة فلو وصلت الأرض لكان أمراً مهولاً وكثر ضجيج الناس في الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار، إلى أن لطف الله بإدراك المطر، ولم تهب هذه الرياح منذ ثلاثين سنة قبلها، وانتشرت حتى غطت الأهرام والجيزة والبحر، واشتدت حتى ظنوا أنها تدمر كل شيء، فدامت تلك الليلة ويومها إلى العصر، وكانت سبباً في هيف الزرع وغلاء السعر، ذكره الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر^(١).

وأما الأمور العظام فوق القحط الشديد مرات منها ما وقع في زمن الظاهر العبيدي بمصر الغلاء الذي لم يقع مثله منذ زمن يوسف عليه السلام، ودام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، وقيل: بيع فيه الرغيف بخمسين ديناراً.

وفي زمن المستنصر العبيدي وقع بمصر أيضاً القحط سنين متوالية، حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، وبلغ الأردب من الحنطة مائة دينار، والأردب: أربعون صاعاً بصاع النبي ﷺ وشيء، وبيع الكلب بخمسة دنائير والهرة بثلاثة دنائير.

وفي سنة خمس وأربعين في خلافة المقتضي العباسي جاء مطر باليمن كله دم، وصارت الأرض مرشوشة بالدم، وبقي أثره في ثياب الناس.

وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة [ظهرياً]^(٢) كوكب كأنه دارة القمر ليلة التهام بشعاع عظيم، وهال الناس ذلك، وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوءه^(٣)، وغاب.

وفي سنة ستين وأربعمائة في خلافة القائم غرق بالرملة خلق كثير.

وفي سنة ست وستين وأربعمائة في خلافة القائم كان الغرق العظيم^(٤) ببغداد، وزادت دجلة ثلاثين ذراعاً، ولم يقع مثل ذلك قط، وهلك الأموال والأنفس

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «ظهرياً» وهو تحريف.

(٣) وردت في المخطوطة «صفرة» وهو تصحيف.

(٤) وردت في المخطوطة «الكبير» والصحيح ما أثبتته.

والدواب ، وركبت الناس في السفن وأقيمت الجمعة في [التيار]^(١) على ظهر الماء مرتين ، وصارت بغداد كلها ملقة ، وانهدم مائة ألف دار .

وفي سنة ثمانين وأربعمائة في خلافة المقتدر غلب [الأفرنج]^(٢) على جميع جزيرة صقلية ، وأسروا وسبوا ذراري المسلمين .

وفي سنة اثنتين وخمسين وستمائة في خلافة المستعصم ظهرت نار في أرض عدن ، وكان [يطير]^(٣) شررها في الليل إلى البحر ، ويصعد منها دخان عظيم ، في النهار .

وفي أيام المعتمد في سنة ست وستين ومائتين دخلت الزنج البصرة وأعماها وخربرها ، وبذلوا السيف وسبوا وهم من الخوارج الذين قتلهم أمير المؤمنين عليّ ، وأعقب ذلك الوباء العظيم فمات خلق كثير لا يحصون ، ثم أعقبه هزات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس ، واستمر القتال مع الزنج إلى سنة سبعين .

قال الصولي : إنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة آدمي ، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف ، وكان له منبر في بلده يصعد عليه يسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة ، وكان ينادي على المرأة العلوية في [عسكره]^(٤) بدرهمين وثلاثة ، وكان عند الواحد منهم العشرين من العلويات ، يستخدمهن فقتل اللعين رئيس الزنج سنة سبعين ، وكان اسمه يهود ، وكان يدّعي أنه أرسل إلى الخلق فردّ الرسالة وإنه مطلع على المغيبات ، ووقع في زمنه غلاء مفرط بالحجاز والعراق ، وبلغ كُرّ^(٥) الحنطة ببغداد بمائة وخمسين ديناراً ، والكُرّ ستة أحمال الحمير والبغال واثنان عشر وسقاً^(٦) ، وفي أيامه انبثق في نهر عيسى بثق ، فجاء الماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار ، وفي زمنه ظهرت القرامطة بالكوفة ، وهم نوع من الملاحدة وهم الباطنية يدعون أنه لا غسل من الجنابة ،

(١) وردت في المطبوعة «الطيار» وهو تصحيف .

(٢) وردت في المطبوعة «الأفرانج» .

(٣) وردت في المطبوعة «يظهر» وهو تحريف .

(٤) وردت في المطبوعة «عكره» والصواب ما أثبتته .

(٥) قال الفيومي في مصباحه : «الكُرّ كيل معروف . . . وهو ستون قفيزاً ، والقفيز ثمانية مكايك ، والمكوك صاع ونصف» [مادة : كُرّ] .

(٦) قال الأزهرى : «الوسق ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ» .

وأن الحمر حلال وأن الصوم في السنة يومان، ويزيدون في أذانهم محمد بن الحنفية رسول الله وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس وأشياء أخر.

وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة كان بمصر الغلاء المفرط، بحيث أكلوا الجيف والأدميين، وفشا أكل بني آدم واشتهر، وتعدوا إلى حفر القبور وأكل الموتى، وكثر الموت من الجوع بحيث كان الماشي لا يقع قدمه أو بصره إلا على ميت أو قريب من الموت^(١)، وهلك أهل القرى قاطبة، بحيث أن المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار، وتجد البيوت مفتحة وأهلها موتى، وصارت الطرق مزرعة للموتى ومأدبة بلحومهم للطير والسباع، وبيعت الأحرار والأولاد بالدرهم اليسيرة، واستمر ذلك سنتين.

قال أبو شامة في الذيل: إن العادلي الكبير في هذه السنة كفن من ماله في مدة يسيرة نحواً من مائتي ألف وعشرين ألف ميت، وقيل ثلثمائة ألف من الغرباء، وأكلت الكلاب والميتات في مصر وأكل من الصغار والأطفال خلق كثير، حتى أن الوالد يشوي ولده ويأكله، وكثر في الناس هذا حتى صار لا ينكر عليهم، ثم صاروا يحتال بعضهم على بعض ويأكلون من يقدرون عليه، وإذا غلب القوي على الضعيف ذبحه وأكله، وفقد كثير من الأطباء يدعوهم إلى المرضى فيذبحونهم ويأكلونهم.

وفي سنة ثمان عشر وسبعمائة حصل بديار بكر والموصل وأربل وماردين والجزيرة وميافارقين وغيرها الغلاء العظيم، وخرت البلاد وبيع الأولاد وكثر الموت في الناس، حتى أنه مات من جزيرة ابن عمر خمسة عشر ألفاً بالجوع، وبيع من الأولاد نحو ثلاثة آلاف صبي، وكان يباع الصبي بنحو عشرة دراهم أو أكثر، ويشترهم التتار ومات أكثر أهل ميافارقين، بحيث لم يبق من أسواقها غير ست حوانيت والموصل كان الغلاء بها أكثر من ماردين، وبيع بها الأولاد بحيث خلت الدور من أهلها، وأكلوا الجيف والميتات وباع رجل ولده باثني عشر درهماً، وقال: قد أنفقت في ختانه خمسين ديناراً، وكان المشترون يتخرجون من شراء أولاد المسلمين فكانت المرأة والصبية تجعل نفسها نصرانية وتقر بالنصرانية ليرغب فيها، وأهل أربل أكلوا النبات ثم قشور الشجر ثم الجيف وجاءهم الموت الذريع وجلا الباقي، ومات كثير منهم بالثلج.

(١) وردت في المخطوطة «الميت» والصواب ما أثبتته.

ذكر ذلك البرازلي وذيل الروضتين ، وذكرت ملخصه . اللهم إنا نعوذ بك من الجوع ، فإنه بثس الضجيع^(١) .

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين في خلافة المتوكل سمع أهل خلاط صبيحة عظيمة من جو السماء فمات منها خلق .

وفي سنة اثنتين وأربعين وقع بجبل طائر أبيض دون الرخمة في رمضان ، فصاح معاشر الناس اتقوا الله الله الله فصاح أربعين صوتاً ، ثم طار وجاء من الغد ففعل كذلك ، وكتب البريد بذلك وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه إلى غير ذلك من الأمور العظام التي وقعت .

ومنها انقطاع طريق الحج ورفع الحجر الأسود من الكعبة

عن أبي سعيد رضي الله عنه : « لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت » رواه الحاكم وصححه البزار وأبو يعلى وابن حبان .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما « لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن » رواه السجزي .

وهذان كلاهما قد وقعا ، أما انقطاع طريق الحج ففي سنة عشرين وثلاثمائة انقطع الحج من بغداد إلى سنة سبع وعشرين بسبب فتنة القرامطة [وفي سنة خمس وخمسين قطعت بنو سليم الطريق على الحجيج من أهل مصر ، وأخذوا منهم عشرين ألف بعير بأحمالها وعليها من الأمتعة ما لا يقوم كثرة ، وبقي الحجاج في البوادي فهلك أكثرهم ، وفي ثلاث وستين خروج بنو هلال وطائفة العرب على الحجاج ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وعطلوا على من بقي منهم الحج في هذا العام ، ولم يحصل لأحد حج في هذه السنة سوى أهل درب العراق وحدهم^(٢) .

في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة رجع الحجاج العراقي من الطريق اعترضهم الأصفر الأعرابي ومنعهم الجواز إلا بالباج ، فعادوا ولم يحجوا ولا حج أيضاً أهل الشام ولا

(١) ساقطة من المخطوطة .

(٢) ساقطة من المخطوطة .

اليمن، إنما حج أهل مصر فقط [وانقطع في زمن بني عثمان من طريق الشام سنتين في زمن الشيخ علوان الحموي .

وفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة انفرد المصريون بالحج ولم يحج أحد من بغداد وبلاد الشرق لعبث الأعراب بالفساد، وكذا في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة .

وفي سنة سبع وتسعين انفرد المصريون بالحج ولم يحج أهل العراق لفساد الطريق بالأعراب .

وفي سنة سبع وأربعمائة انفرد المصريون أيضاً، ولم يحج أحد سواهم، وكذا في سنة ثمان وأربعمائة .

وفي سبع عشرة وأربعمائة انفرد المصريون أيضاً بالحج، ولم يحج غيرهم .

وفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة لم يحج أحد لا من المشرق ولا من مصر وغيرها إلا طائفة من خراسان حجوا من البحر .

وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة تعطل الحج من الأقاليم بأسرها ومن السنة التي بعدها إلى سنة أربعين وأربعمائة لم يحج أحد غير أهل مصر، ذكر هذا كله السيوطي في حسن المحاضرة .

وذكر الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر أن في السنة الثالثة والرابعة والخامسة بعد الثمانمائة لم يحج أحد من طريق الشام، وذلك بعد أن طرق تيمور الشام، وعاث فيها^(١). أما رفع الحجر ففي خلافة المقتدر وذلك أن المقتدر سير الحاج مع منصور الديلمي إلى مكة سالمين، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرامطي، فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً، وطرح القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره، ثم اقتلعه، وأقام بها أحد عشر يوماً ثم رحلوا، وبني الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة، ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبؤا ردّه، حتى أعيد في خلافة المطيع وقيل: إنهم لما أخذوه هلك تحته أربعون رجلاً من مكة إلى هجر، فلما أعيد

(١) ساقطة من المخطوطة .

حمل على قعود^(١) هزيل فسمن .

قال محمد بن الربيع بن سليمان: كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب، وأنا أراه فعيل صبري، وقلت: ربي ما أحلمك فسقط الرجل على دماغه فمات، وصعد القرمطي المنبر وهو يقول:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

ولم يفلح أبو طاهر القرمطي بعد ذلك تقطع جسده بالجدري .

وقال محمد بن نافع الخزاعي: تأملت الحجر وهو مقلوع فإذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض، وطوله قدر عظم الذراع .

وأما هدم البيت كله وانقطاع الحج بالكلية، فإنما يكون في آخر الزمان والعياذ بالله، وكذلك رفع القرآن، وسيأتي في القسم الثالث إن شاء الله تعالى .

ومنها رضح رؤوس أقوام بكواكب من السماء

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط» رواه الديلمي .

وفي سنة ثلاث وتسعين^(٢) وخمسمائة انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل^(٣)، واهتزت الدور والأماكن، فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء، وظنوا أنه من أمارات القيامة .

وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ماجت النجوم في السماء، وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل، وكان أمراً مزعجاً لم يعهد مثله .

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في خلافة الرازي في ذي القعدة انقضت النجوم

(١) قال ابن فارس في مجمل اللغة [مادة قعد]: «الدابة المتقدمة الخاصة للركوب» .

(٢) وردت في المخطوطة «سبعين» وهو تحريف .

(٣) في المخطوطة «أصوات هائلة» .

سائر الليل انقضاضاً عظيماً ما رؤي مثله ، وقد وقع بعد ذلك كثيراً أن النجوم والشهب انقضت وقتلت ناساً .

ومنها ظهور كوكب له ذنب

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « يا سلمان إذا كان حج الملوك تنزهاً والأغنياء للتجارة والمساكين للمسألة والقراء رياء وسمعة فعند ذلك يظهر نجم له ذنب » رواه ابن مردويه .

وهذا الكوكب قد ظهر مرات آخرها في سنة خمس وسبعين وألف في شهر جمادى الآخرة ، وبقي شهراً أو أكثر ، وكان يسير سيراً أسرع من القمر .

[فائدة :

جاء من بلاد النصراني إلى بلاد بني عثمان في سنة سبع وسبعين وألف في شهر جمادى الأولى ، وأنا إذ ذاك شاهدت كتاباً منقوشاً فيه صورة حيوان طوله عشرون ذراعاً وسمكه خمسة أذرع ، جسده جسد السمك له أربع قوائم ، في يديه خمس أصابع كأصابع الأسد وفي رجله مثل حافر الفرس ، ورأسه رأس الثور ، له أربع قرون ، اثنان بين عينيه أسودان ، واثنان أصفران بين أذنيه ، وانحدر كل اثنين إلى جهة الآخر ، وعلى فكه الأعلى خمس سنون أمثال الكلاب العظام ، وعلى فكه الأسفل أربعة كذلك ، وله ذنب طويل كذنب السمك ، وعلى كفله متصلاً مخلوق نصف إنسان عريان له أربع أيدي في كل واحدة خمس أصابع ، وله ذؤابتان سوداوان ، ولحية وثديان كثدي المرأة ، ومضمون الكتاب أن هذا الحيوان صار في جبال الأفرنج حين ظهر هذا النجم في سنة خمسة وسبعين ، وإنه ظهر على جسده مثل النجم المذكور ، وهلك بنفسه خلق كثير من دواب الأرض ، وإنه رموه بالمجانيق فلم تؤثر فيه ، وأهلك منهم اثنين وثلاثين ألف آدمي ، ثم بعد مدة ارتفع عنه ذلك الكوكب الذي عليه ، فرموه بالمنجنيق فقتلوه ، وكتبوا بذلك إلى البلدان ، والله على كل شيء قدير^(١) .

(١) هذا الكلام ساقط من المطبوعة .

ومنها كثرة الموت

عن عوف بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «اعدد بين الساعة ستاً: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتاً كقعاص الغنم» الحديث رواه البخاري^(١) وابن ماجه والحاكم في المستدرک^(٢).

والموتان: بضم الميم وإسكان الواو على وزن بطلان الموت الكثير الوقوع، قاله في النهاية، وقُعَاص الغنم: بضم القاف وبالعين والصاد المهملتين بينهما ألف داء يأخذ الغنم فلا تلبث أن تموت، ومنه ضربه فاقعصه أي مات مكانه، وهو وقع في زمن عمر في طاعون عمواس، وبعد ذلك في طاعون الجارف وفي الطواعين والوباءات الواقعة في أقطار الأرض.

ذكر الحافظ السيوطي في كتاب «ما رواه الواعون في أخبار الطاعون» ما لفظه: سرد الطواعين الواقعة في الإسلام. قال ابن أبي حجلة في تأليفه في الطاعون: أول طاعون وقع في الإسلام على عهد النبي ﷺ سنة ست من الهجرة بالمدائن، ويعرف بطاعون شبرويه، فيها حكاة المدائني، ولم أعلم كم مات فيه فأحكيه قلت: ولم يمت فيه أحد من المسلمين.

وقد أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق حماد بن زيد عن أيوب قال: قال محمد: لم يكن طاعون أشد من ثلاثة طواعين: طاعون إزدجرد، وطاعون عمواس، وطاعون الجارف.

وقال المدائني: كانت الطواعين العظام المشهورة في الإسلام خمسة: طاعون شبرويه بالمداين في عهد رسول الله ﷺ، ثم طاعون عمواس، ثم طاعون الجارف، ثم طاعون الفتيات، ثم طاعون الأشراف، انتهى.

الثاني: طاعون عمّواس: بفتح العين المهلمة وسكون الميم، وقد تحرّك وتخفيف الواو

(١) انظر البخاري، كتاب الجزمة، باب: ما يحذر من الغدر، رقم: ٣٠٠٥.

[في الصحيح: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: . . .»، القصاص: داء يصيب الغنم].

(٢) انظر: المستدرک: ١٧٦/٢.

وآخره سين مهمة ، اسم موضع بالشام ، وكان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة ، وقيل : ثمان عشرة ومات فيه من جيش المسلمين خمسة وعشرون ألفاً ، وقيل : ثلاثون ألفاً ، وقيل : سمي طاعون عُمَواس لأنه لم يقع في شيء من المواضع سوى ما وقع فيه حكاها الحافظ عبد الغني المقدسي .

وذكر سيف بن عمر عن شيوخه قالوا : لما كان طاعون عُمَواس وقع مرتين لم ير مثلها ، وطال مكثه وذلك أنه وقع بالشام في المحرم وصفر ، ثم ارتفع ثم عاد وفني فيه خلق كثير من الناس ، حتى طمع العدو وتخوفت قلوب المسلمين ، لذلك قال سيف : وأصاب أهل البصرة أيضاً تلك السنة طاعون ، فمات بشر كثير ، وجم غفير .

وفي مرآة الزمان : لما كان سنة ثمان عشرة أصاب جماعة من المسلمين بالشام الشراب ، فجلدهم أبو عبيدة بأمر عمر عند ذلك ليحدثن في هذا العام حادث ، فوقع الطاعون ، قال هشام : إنما حدث الطاعون بالشام لأجل هؤلاء الذين شربوا الخمر ، ومن مات في طاعون عُمَواس من مشاهير الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ، ومعاذ ابن جبل ، وشرحبيل بن حسنة ، والفضل بن العباس ، وهو ابن عم رسول الله ﷺ ، وأبو مالك الأشعري ، ويزيد بن أبي سفيان أخو معاوية ، والحارث ابن هشام ، أخو أبي جهل وأبو جندل الذي جاء يوم الحديبية يرسف^(١) في قيوده ، وسهيل ابن عمرو الذي قام بمكة يوم مات النبي ﷺ ، فثبت الناس وهو والد أبي الجندل .

ومما قيل في طاعون عُمَواس من الشعر قول امرئ القيس حشيش الكندي ، أورده أبو حنيفة البخاري في كتاب المبتدأ وابن عساكر في تاريخه :

رب حرف مثل الهلال وبيضاء	حصان بالجنز من عمواس
قد لقوا الله غير باغ عليهم	ثم أضحوا في غير دار التناسي
فصبرنا لهم كما علم الله	وكنا في الموت أهل ناسي

وقال سيف عن شيوخه : خرج الحارث بن هشام في سبعين من أهله إلى مرتفع

(١) قال ابن فارس في جمل اللغة [مادة رسف] : «الرسف مثي المقيد» .

الشام، فلم يرجع منهم إلا أربعة، فقال المهاجر بن خالد في ذلك :

من يسكن الشام يقدس به	والشام إن لم يأتنا كارب
أفنى بني ربطة فرسانهم	عشرون لم يقصص لهم شارب
ومن بني أعمامهم مثلهم	لمثل هذا يعجب العاجب
طعنا وطاعونا مناياهم	ذلك ما خط لنا الكاتب

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير: عمواس بليدة صغيرة بين القدس والرملة، كان الطاعون أول ما نجم بها، ثم انتشر بالشام منها فنسب إليها .

وقال البيهقي في دلائل النبوة^(١) باب ما جاء في أخبار النبي ﷺ بالطاعون، الذي وقع بالشام في أصحابه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم أخرج عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهو في خباء من آدم فقال: يا عوف احفظ خللاً ستأين يدي الساعة إحداهن موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يظهر فيكم يستشهد الله به ذرايكم وأنفسكم، ويزكي به أعمالكم، ثم استفاضة المال بينكم . . . الحديث .

وأخرج الحاكم^(٢) عن عوف بن مالك أنه قال في طاعون عمواس: إن رسول الله ﷺ قال: أعدد ستاً بين يدي الساعة قال: فقد وقع منهم ثلاث، يعني: موته، وفتح بيت المقدس، والطاعون، قال: وبقي ثلاث فقال معاذ: إن لها أمداً ثم وقع الطاعون بالكوفة سنة تسع وأربعين، فخرج المغيرة بن شعبة منها فاراً فلما ارتفع الطاعون رجع إليها، فأصابه الطاعون فمات في سنة خمسين ذكرها ابن كثير في تاريخه .

ثم وقع في سنة ثلاث وخمسين ومات فيها زياد، ذكره في مرآة الزمان .

وقال ابن كثير: في سنة ثلاث وخمسين في رمضان توفي زياد بن أبي سفيان ويقال له: زياد ابن أبيه وزياد ابن سمية وهي أمه مطعوناً، وكان سبب ذلك أنه كتب إلى معاوية يقول له: إني قد ضببت لك العراق بشمالى ويميني فارغة، وهو يعرض له أن يستنييه

(١) انظر: دلائل النبوة: ١١٣/٣ .

(٢) انظر: المستدرک: ٢٣٤/٢ .

على بلاد الحجاز أيضاً، فلما بلغ أهل الحجاز، جاؤوا إلى عبدالله بن عمر، فشكوا إليه ذلك وخافوا أن يلي عليهم زياد، فيعسفهم كما عسف أهل العراق، فقام ابن عمر فاستقبل القبلة، فدعا على زياد والناس يؤمنون فطعن زياد بالعراق في يده، فضاق ذرعاً بذلك، واستشار شريحاً القاضي في قطع يده، فقال له شريح: إني لا أرى لك ذلك فإنه إن لم يكن في الأجل فسخة لقيت الله أجذم، قد قطعت يدك خوفاً من لقائه، وإن كان لك أجل بقيت في الناس أجذم، فيعير ولدك بذلك، فصرفه عن ذلك، ويقال: إن زياداً جعل يقول: أنا وأنا والطاعون في فراش واحد.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن السائب الأنصاري قال: جمع زياد أهل الكوفة، فملاً منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من علي بن أبي طالب، قال عبد الرحمن: فلإني لمع نفر من أصحابي من الأنصار، والناس في أمر عظيم، فهومت تهوية فرأيت شيئاً أقبل طويل العنق مثل عنق البعير، أهدب أهدل فقلت: ما أنت؟ فقال: أنا النقاد ذو الرقبة، بعثت إلى صاحب هذا القصر، فاستيقظت فزعاً فقلت لأصحابي: هل رأيتم ما رأيتم؟ قالوا: لا، فأخبرتهم، وخرج علينا خارج من القصر، فقال: إن الأمير يقول لكم: انصرفوا عني فلإني عنكم مشغول، وإذا الطاعون قد أصابه.

ثم وقع بالبصرة طاعون الجارف، وسمي بذلك لأنه جرف الناس كما يجرف السيل الأرض، فيأخذ معظمها، واختلف في سنته فقيل: وقع في سنة أربع وستين، وجزم به ابن الجوزي في المنتظم، وقيل: كان في شوال سنة تسع وستين، قال ابن كثير: وهذا هو المشهور الذي ذكره شيخنا الذهبي وغيره سنة سبعين، وقيل سنة ست وسبعين، وقيل: سنة ثمانين قال ابن كثير: حكاه ابن جرير عن الواقدي، ومات فيه لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولداً، ولأبي بكر أربعون ولداً.

قال ابن كثير: كان ثلاثة أيام مات في أول مه من أهل البصرة سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني منه واحد وسبعون ألفاً، وفي اليوم الثالث منه ثلاثة وسبعون ألفاً، وأصبح الناس في اليوم الرابع موتى إلا القليل من آحاد الناس، حتى ذكر أن أم الأمير بها ماتت، فلم تجد من يحملها.

وقال صاحب المرأة: مات فيه أهل الشام إلا اليسير.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني: حدثنا عبيد الله حدثنا أحمد بن عصام، حدثني معدي عن رجل يكنى أبا الفضل وكان قد أدرك زمن الطاعون، قال: كنا نطوف في القبائل، وندفن الموتى فلما كثروا لم نقدر على الدفن، فكنا ندخل الدار وقد مات أهلها فنسد بابها فدخلنا داراً نفتشها، فلم نجد فيها أحداً حياً فسدناها، فلما مضت الطواغين كنا نطوف، فنزع تلك السدد عن الأبواب، ففتحنا سدة الباب التي كنا قد فتشناها، فإذا نحن بغلام في وسط الدار طري دهين، كأنها أخذ ساعتئذ من حجر أمه، قال: فنحن وقوف على الغلام نتعجب منه، فدخلت كلبه من شق الحائط، فجعلت تلوذ بالغلام، والغلام يحبو إليها حتى مص من لبنها، قال معدي: وأنا رأيت ذلك الغلام في مسجد البصرة، قد قبض على لحيته.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الاعتبار: حدثني يحيى بن عبد الله الخثعمي، عن محمد ابن سلام الجمحي قال: زعم يحيى أنه لما وقع الطاعون الجارف بالبصرة، وذهب الناس فيه وعجزوا عن موتاهم، وكانت السباع تدخل البيوت، فتصيب من الموتى، وذلك سنة سبعين أيام مصعب، وكان يموت في اليوم سبعون ألفاً، فبقيت جارية من بني عجل، ومات أهلها جميعاً، فسمعت عواء الذئب فقالت:

ألا أيها الذئب المنادي بسحرة هلم أنبك الذي قد بدا ليا
بدا لي أني قد يتمت وأنني بقية قوم أورثوني المباكية
ولا ضير أني سوف أتبع من مضى ويتبعني من بعدي من كان تاليا

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الفضل بن جعفر، حدثنا أحمد بن محمد البجلي، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، قال: نزل بنا حي من العرب فأصابهم الطاعون، فماتوا وبقيت جويرية مريضة، فلما أفاقت جعلت تسأل عن أبيها وأمها وأختها، فيقال: ماتت ماتت فرفعت يديها، وقالت:

ولولا الأسي ما عشت في الناس ساعة ولكن متى ناديت جاونبي مثلي

قال الحافظ ابن حجر: وكان بمصر سنة ست وستين طاعون، ثم في سنة وفاة عبد

العزیز بن مروان سنة خمس وثمانین، وقیل: سنة اثنتین، وقیل سنة أربع، وقیل: سنة ست، وكان بالشام طاعون سنة تسع وسبعین، ذكره ابن جریر وغيره.

ثم وقع بالبصرة طاعون الفتيات سنة سبع وثمانین وُسِّمَ بذلك لكثرة ما^(١) مات فيها من النساء الشواب^(٢) والعداری.

قال ابن أبي الدنيا في الاعتبار: حدثني محمد بن علي بن عثام الكلجي قال: سمعت حامد بن عجر ابن حفص النكراوي، قال: حدثني أبو بحر النكراوي عن أمه قالت: خرجنا هارين من طاعون الفتيات، فنزلنا قريباً من سنام، قالت: وجاء رجل من العرب معه بنون له عشرة، فنزل قريباً منا، فلم يمضِ إلا يوم حتى مات بنوه أجمعون، وكان يجلس بين [قبورهم]^(٣) فيقول:

بنفسي فتية هلکوا جميعاً	برابية مجاورة سناماً
أقول إذا ذكرت العهد منهم	بنفسي تلك أصداء وهاما
فلم أر مثلهم هلکوا جميعاً	ولم أر مثل هذا العام عاماً

قالت: وكان يبكي من سمعه.

ثم طاعون الأشراف وقع والحجاج بواسط حتى قيل فيه: لا يكون الطاعون والحجاج في بلد واحد، سُمي بذلك لكثرة من مات فيها من أشراف الناس.

ثم وقع بالشام طاعون مات فيه ولي العهد أيوب ابن الخليفة سليمان بن عبد الملك.

أخرج ابن أبي الدنيا في الاعتبار، من طريق عبدالله بن المبارك، عن أبي كنانة قال: أخبرني يزيد بن المهلب قال: حملت حملين مسكاً من خراسان إلى سليمان بن عبد الملك، فانتھيت إلى باب ابنه أيوب، وهو ولي العهد فدخلت عليه، فإذا دار محصصة حيطانها وسقفها خضر، وإذا وصف ووصائف عليهم حلل خضر، وحلي من الزمرد فوضعت الحملين بين يدي أيوب، وهو قاعد على سريره، فانتھب المسك من بين

(١) ساقطة من المخطوطة والمطبوعة، وأثبتها ليتم المعنى.

(٢) أي الشابات.

(٣) وردت في المطبوعة «قبورهم» وهو تصحيف.

يديه، ثم عدت بعد أحد عشر يوماً، فإذا أيوب وجميع من معه في داره قد ماتوا، أصابهم الطاعون.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن حاتم بن عطار قال: حدثني أبو الأبطال قال: بعثت إلى سليمان بن عبد الملك ومعي ستة أحمال مسك، فمررت بدار أيوب ابن سليمان، فأدخلت عليه فمررت بدار ما فيها من الثياب والنجد بياض، ثم دخلت منها إلى دار أخرى صفراء وما فيها كذلك، ثم أدخلت منها إلى دار حمراء وما فيها كذلك، ثم أدخلت منها إلى دار خضراء وما فيها كذلك، فإذا أنا باب على سرير، ولحقني من كان في تلك الدور، فانتهبوا ما معي من المسك، ثم مررت بدار أيوب بعد سبعة عشر يوماً، فإذا بالدار بلاقع فقلت: ما هذا؟ قالوا: طاعون أصابهم.

قال ابن أبي الدنيا: كان أيوب ولي عهد أبيه من بعده قد رشحه للخلافة، فأصابه الطاعون فمات في حياة أبيه، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين.

وقال الحافظ ابن حجر: وقع بالشام طاعون عدي ابن اوطاة سنة مائة قلت: وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز.

وأخرج ابن سعد عن اوطاة بن المنذر قال: كان عند عمر بن عبد العزيز نفر يسألونه أن يتحفظ في طعامه، ويسألونه أن يكون له حرس إذا صلى لثلاثين ثلثاً فيقتله، ويسألونه أن يتنحى عن الطاعون، ويخبرونه أن الخلفاء قبله كانوا يفعلون ذلك، قال لهم عمر: فأين هم فلما أكثروا عليه قال: الله إن كنت تعلم أي أخاف يوماً دون يوم القيامة، فلا تؤمن خوفي.

وأخرج محمد بن خلف المعروف بوكيع في كتاب «الغرر من الأخبار» عن أبي الزناد قال: قال عبد الله بن حسن بن حسن: كنت عند عمر بن عبد العزيز، فوقع طاعون بالشام فقال: ارحل فإنك لن تغنم أهلك مثل نفسك، ففضى حوائجي وأتبعني إياها.

قال الحافظ ابن حجر: ثم وقع أيضاً بالشام في سنة سبعمائة، ثم في سنة خمس عشرة، وكذا في تاريخ ابن كثير.

وفي المرأة: وقع في سنة ست عشر طاعون شديد بالشام والعراق، وكان أعظم ذلك في واسط، ذكره ابن كثير أيضاً.

ثم وقع بالبصرة طاعون غراب في سنة سبع وعشرين ومائة، ثم وقع بالبصرة طاعون مسلم بن قتيبة في رجب وشعبان ورمضان سنة إحدى وثلاثين ومائة، ثم خف في شوال وبلغ في كل يوم ألف جنازة.

قال ابن سعد: وتوفي فيه إسحق بن سويد العدوي، وفرقد بن يعقوب السبحي، وأيوب السختياني. قال ابن سعد: وأخبرنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان، قال: سمعت داود بن أبي هند يقول: أصابني الطاعون فأغمي عليّ فكأن اثنين أتاني، فغمز أحدهما عكوة لساني، وغمز الآخر أخصر قدمي فقال: أي شيء تجد قال: تسبيحاً وتكبيراً، وشيئاً من خطوة إلى المسجد، وشيئاً من قراءة القرآن، قال: ولم أكن أخذت القرآن يومئذ، قال: فكنت أذهب في الحاجة، فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي قال: فعوفيت، فأقبلت على القرآن فتعلمته هذا كله في الدولة الأموية.

بل نقل بعض المؤرخين: إن الطوابعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام، حتى كان خلفاء بني أمية إذا جاء زمن الطاعون، يخرجون إلى الصحراء، ومن ثم اتخذ هشام بن عبد الملك الرصافة منزلاً، ثم خف ذلك في الدولة العباسية، فيقال: إن بعض أمرائهم خطب بالشام، فقال: احمدا الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ ولينا عليكم، فقام بعض من له جراءة، فقال: الله أعدل من أن يجمعكم علينا والطاعون فقتله.

وأخرج ذلك ابن عسّكر في تاريخه، وسمى الذي قام جمعونة الحارث.

وأخرج ابن عسّكر عن الأصمعي قال: لقي المنصور أعرابياً بالشام، فقال: أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت، قال: إن الله لم يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ولايتكم، والطاعون.

ثم كان في سنة أربع وثلاثين بالريّ، ثم في سنة ست وأربعين ببغداد، ثم في سنة إحدى وعشرين ومائتين بالبصرة، قلت: كذا ذكره الحافظ ابن حجر والمؤرخون قبله،

فكان بين هذين الطاعونين خمس وسبعون سنة ، وفي هذه المدة كان مولد الإمام الشافعي رضي الله عنه ووفاته ، فلم يقع في حياته طاعون ، وبذلك يعرف إن قوله السابق : « لم أرَ للوباء أنفع من البنفسج » لم يُردْ به الطاعون ، لأن الوباء غير الطاعون ، كما تقدم الفرق بينهما ، ويحتمل أنه أراد الطاعون والمراد الذي نصل صاحبه ، وقام واحتاج إلى علاجه فيدهن به كما يستعمل الناس الآن في علاجه الدهان بزبد اللبن البقري ودهن اللوز ، وظن طائفة من الناس أن مراد الإمام أن الأدهان بدهن البنفسج ، يمنع الطاعون من أصله ، وليس كما ظنوه ، والله أعلم .

ثم في سنة تسع وأربعين ومائتين بالعراق .

ثم في سنة ثمان ومائتين بأذربيجان وبرذعة ، فمات لمحمد بن أبي الساج ثمانون ولداً ، ذكره صاحب المرأة .

ثم في سنة تسع وتسعين ومائتين بأرض فارس .

ثم في سنة إحدى وثلاثمائة ببغداد .

ثم في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بأصبهان .

في سنة أربعين وثلاثمائة بالعراق ، وكثر فيه موت الفجأة حتى أن القاضي لبس ثيابه ، ليخرج إلى الحكم فمات ، وهو يلبس إحدى خفيه .

قلت : رأيت في كتاب « نشور المحاضرة » للتنوخي إن موت الفجأة وقع للناس في كل حال منهم من مات وهو يصلي ، ومنهم من مات وهو يأكل ومنهم من مات وهو يمشي ، ومنهم من مات بالجامع ، ومنهم من مات في الحمام ، وفي جميع الأحوال إلا حالة واحدة وهي الخطبة ، فلم ينقل قط أن خطيباً مات فجأة على منبر .

ثم وقع في سنة أربعمائة بالبصرة .

ثم وقع في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة طاعون عظيم ببلاد الهند والعجم وبلاد الجبل ، وامتد إلى بغداد ، وفني الناس ولم يشاهدوا مثله ، ومات بالموصل في هذه السنة أربعة آلاف صبي بالجدري .

ثم وقع بشيراز سنة خمس وعشرين وأربعمائة ووصل إلى البصرة وبغداد .
ثم سنة تسع وثلاثين وأربعمائة بالموصل والجزيرة وبغداد ، بحيث صلى الجمعة
بالبصرة أربعمائة نفس ، وكانوا أكثر من أربعمائة ألف .
ثم وقع سنة ثمان وأربعين بمصر والشام وبغداد .
ثم وقع بالعجم سنة تسع وأربعين .
ثم وقع بمصر سنة خمس وخمسين وأربعمائة ودام فيها عشرة أشهر .
ثم بدمشق سنة تسع وستين ، وكان أهلها نحو خمسمائة ألف ، فلم يبقَ منهم سوى
ثلاثة آلاف وخمسمائة .
ثم وقع في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة بالعراق .
ثم في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بالحجاز واليمن .
ثم في سنة خمس وسبعين وخمسمائة ببغداد .
ثم في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، ولم يعهد نظيره في الدنيا فإنه طبق الأرض شرقاً
وغرباً ، ودخل البلاد كلها ، حتى دخل مكة المشرفة ، ووقع في الحيوانات أيضاً ، وعمل
فيه ابن الوردي مقامة مشهورة و[قال]^(١) في ذلك :

من بعد سبعمائة سنينا	في عام تسعة وأربعينا
وما أراد ربنا يكون	قد دهم الخلائق الطاعون
أوسع طعناً في الورى ومضرباً	طبق الأرض مشرقاً ومغرباً
وأدخل الفناء في أم القرى	أهلك نصف الناس بيل وأكثرأ
لم يرَ في الدنيا أخى نظيره	في الجوان قد بدا تأثيره
خذ هذه عن السيوطي الفرد	فيه مقام عن ابن الوردي
يرجو النجاة والإله المنجي	ناظمه محمد البرزنجي

(١) وردت في المطبوعة «قلت» وهو تصحيف .

وقال ابن أبي حجلة : مات فيه على جهة التقريب نصف العالم أو أكثر، وبلغ الموت في القاهرة كل يوم زيادة على عشرين ألفاً .

ثم وقع في سنة أربع وستين وسبعمائة بالقاهرة ودمشق .

ثم سنة إحدى وسبعين بدمشق .

ثم سنة إحدى وثمانين بالقاهرة .

ثم في سنة إحدى وتسعين ، ثم في سنة ثلاث عشرة وثمانائة ، ثم في سنة تسع عشرة ، ثم في سنة إحدى وعشرين ، ثم في التي تليها ، ثم في سنة ثلاث وثلاثين وثمانائة ، وهو أوسع هذه الطواعين كلها ، ولم يقع بمصر بعد الطاعون العام الذي كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة نظير هذا .

ثم وقع في سنة إحدى وأربعين بمصر ، وكان خفيفاً وأكثر ما بلغ في اليوم ألف نفس ، ثم وقع في سنة تسع وأربعين في ذي الحجة ، ودام إلى ربيع الأول سنة خمسين ، ثم في سنة ثلاث وخمسين ، وبلغ في كل يوم خمسة آلاف ، ثم في سنة أربع وستين بمصر والشام ، ثم في سنة ثلاث وسبعين بهما ، ثم في سنة إحدى ثمانين وثمانائة ، ثم بالروم سنة ست وتسعين وثمانائة ، ودخل حلب في افتتاح سنة سبع وتسعين ، ثم وصل إلى مصر في شهر ربيع الآخر منها أحسن الله ختامها في خير .

هذا كلام الحافظ السيوطي رحمه الله ، وقد وقع بعده أيضاً طواعين كثيرة يطول ذكرها^(١) .

ومنها استباحة مكة :

عن الحسين بن علي أنه حين خرج إلى الكوفة ، فنصحوه في الخروج قال : إن أبي حدثني أنه تستحل حرمتها ، ولأن أقتل خارجها بشبر أحب إليّ من أن أقتل داخلها ، الحديث .

وهذه وقعت في زمن يزيد كما مر في زمن عبد الملك حين أرسل الحجاج ، وقتل ابن

(١) الكلام الوارد بين قوسين ساقط من المخطوطة .

الزبير، وهدم البيت، وفي زمن أبي طاهر القرمطي كما مر أيضاً، وقع بعد ذلك مرات قتلوا بها جماعة من الأشراف من بني حسن، وسبق قبيل خروج المهدي، وآخر من يستبيحها ذو السويقتين من الحبشة، فإنه يبيحها، ويهدم البيت حجراً حجراً، وهذان سيأتیان في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

[ومن راجع التواريخ كتاريخ مصر والشام وبغداد وغيرها، ولا سيما تاريخ بغداد لابن الجوزي المسمى بالمنتظم، وجد من ذلك شيئاً كثيراً لا يعد ولا يحصى^(١)] فلنكتفِ من هذا القسم بهذا المقدار، فإنما المقصود التنبيه على وقوعه لا التحذير منه، فإنه قد فات وإنها الحذر مما يأتي، وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين.

ومنها الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم الحق في كلها مع أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه، وإنه المصيب دائماً، وغيره المخطيء، لقوله ﷺ: «عليّ مع القرآن والقرآن معه» وقوله: «عليّ مع الحق حيث دار» وقوله: «يا عليّ تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله»، وقوله للزبير: «تقاتله وأنت له ظالم» وقوله: «ما خُيّر عمار بين أمرين إلا اختار أشدهما»^(٢) وقوله: «عمار تقتله الفئة الباغية» وعمار كان معه، وقتل في صفين قتله أصحاب معاوية، ولقول حذيفة حين قال: سيكون قتال بين المسلمين فسئل مع من تكون فقال: انظروا إلى الفئة التي تدعو إلى أمر عليّ فكونوا معها، فإنها على الحق وغير ذلك من الأحاديث، وحينئذ فنقول: أما طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم فهم مجتهدون قطعاً، لأنهم لم يطعموا في الخلافة، ولم يكونوا جاهلين بفضل أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وعلمه وقربته وسابقته، وإنما حملهم على ذلك طلب دم عثمان، لما أدى إليه اجتهداهم من وجوب قتلهم عليّ الإمام، وكان أمير المؤمنين عليّ ينتظر محاكمة الورثة إليه، وإقامة البينة على القاتل، وقد كان طلحة والزبير من أهل بدر.

وقد قال ﷺ لعمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وقال لغلام حاطب حين شكاه

(١) ساقط من المخطوطة.

(٢) وردت في المخطوطة «أرشدهما» والصواب ما أثبتته.

إليه : وقال يا رسول الله : إن حاطباً يدخل النار، قال^(١) : «كذبت لا يدخل النار إنه شهد بدرًا والحديبية» ولأنها من العشرة المبشرين بالجنة ، وبشارته ﷺ حق ، ولأنهما رجعا عن الخروج وتابا ، أما الزبير فحين ذكره عليّ بالحديث ترك القتال ، وخرج من العسكرين ، وأما طلحة فبعدما جرح وأثنى مر به رجل من أصحاب عليّ فسأله ممن أنت؟ قال : من أصحاب عليّ ، قال : مد يدك أبياعك عن عليّ فلما سمع عليّ ذلك قال صدق رسول الله ﷺ «أبى الله أن يدخل طلحة الجنة ، إلا وبيعتي في عنقه» كما تقدم وقال : أرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم : ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾^(٢) وأكرم ابن طلحة ، ورد عليه جميع ماله ، وأما عائشة ، فإنها زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة كما ثبت في الصحيح ، ولأنها أرادت الرجوع من الطريق حين سمعت كلاب حوَّاب نبحتها ، وتذكرت الحديث فقالوا : بل تقدمين لعل الله أن يصلح بك ذات بين المسلمين ، فما قصدت إلا الصلح لا الفساد ، وإنما قتلة عثمان أنشبو الحرب خيفة على أنفسهم ، ولأنها أم المؤمنين وحبية رسول الله ﷺ ، فكلهم مأجورون إلا أن علياً له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة ، وغيره له أجر الاجتهاد فقط ، وأما معاوية فهو وإن كان باغياً ، لم يدخل في البيعة بل كان طالباً للملك ، وإنما جعل طلب الدم وسيلة إلى طاعة أهل الشام له ، وقد ظهر له بغيه بقتل عمار بن ياسر ، فأخبروه بأن النبي ﷺ قال لعمار : إنها تقتلك الفئة الباغية ، ولأنه لما تولى بعد نزول الحسن عن الخلافة لم يقتل أحداً بدم عثمان ولا طالبه ، ولم يكن له سابقة ولا هجرة على الأصح ، فإنه من مسلمة الفتح ، وقد قال عمر رضي الله عنه : إن هذا الأمر في أهل بدر والمهاجرين الأولين ما بقي منهم أحد ، وليس لطليق ولا لمسلمة الفتح فيه نصيب ، لكنه لكونه صهراً لرسول الله ﷺ وكاتباً للوحي وله صحبة ، وقد قال ﷺ : «إذا ذكر أصحابي فامسكوا» وقال : «الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي» الحديث ، ينبغي الإمساك عن ذكره إلا بخير على أنه ﷺ قد أخبره أنه يتولى ، وقال : يا معاوية إذ وليت فأحسن ، ودعا له فقال : اللهم اجعله هادياً مهدياً ، واهده ، وقال أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه : لا تكرهوا إمرة معاوية ، والله لو فقدتموه لرأيتم الرؤوس تنزل عن كواهلها كالحنظله .

(١) ساقطة من المخطوطة .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٧ .

وأما الحرية فلا حاجة الاعتذار عنهم بعدما قال ﷺ: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» ونحوه من الأحاديث.

وأما يزيد وبنو الحكم فهم ملعونون على لسان النبي ﷺ، وكذا قال أحمد ابن حنبل حين سأله ابنه عن لعن يزيد: كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه؟ فقال: قد قرأت كتاب الله فلم أر فيه لعن يزيد: فقال: إن الله يقول: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾، وأي فساد وقطيعة [رحم] ^(١) أشد مما فعله يزيد يا بني، نعم عمر بن عبد العزيز من الأئمة الراشدين والخلفاء المهتدين، ويجب استنأؤه من بني أمية كما استنأه النبي ﷺ حيث قال: ﴿إلا الصالحون منهم وقليل ما هم﴾، بخلاف بقية بني أمية كما مر، وكذلك من بعدهم من بني العباس وغيرهم، فأكثرهم أو عامتهم ظلمة فسقة، وأحسن من فيهم المتوكل وهو كان في النصب بحيث هدم قبر الحسين، وجعله مزرعة ومنع الناس زيارته، وقال في ذلك بعض الشعراء شعراً:

بإلله ^(٢) إن كانت أمية قد أتت	قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله	هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا	في قتله فتبعوه رميما

[وحكى ابن خلكان في ترجمة ابن السكيت أنه كان جالساً يوماً مع المتوكل، وكان مؤدب أولاده فجاء ولداه المعتز والمؤيد، فقال: يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين، فقال: والله إن قبر خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنك، فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا فمات ليلة الاثنين لخمس خلون من شهر رجب سنة أربع وأربعين ومائتين، ثم أرسل المتوكل لولده عشرة آلاف درهم، وقال: هذا دية والدك انتهى.

وهذا إن صح فهو الغاية في النصب ولعله لا يصح نعم ^(٣)، كان المهتدي منهم

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) وردت في المطبوعة «الله» والصواب ما أثبتته.

(٣) ساقطة من المخطوطة.

زاهداً يتأسى بعمر بن عبد العزيز في هديه، لكنه قتل بعد سنة ولم تطل مدته، هذا وأما ما توسع فيه الرافضة من سب السلف الصالح حتى الصحابة الكرام سيما الشيخين، فخروج من طريق العقل والنقل وضلال مبين وإلحاد في الدين، وتجهيل لجميع المسلمين حتى عليّ أمير المؤمنين كلا ثم كلا، بل هم خيرُ أمة أُخرجت للناس بشهادة القرآن وشهداء الله على الأمم يوم الحشر والميزان، وهم أهل بدر وأحد وبيعة الرضوان اختارهم الله لصحبة نبيه من بين الأكوان لم يكن فيهم شائبة نفسانية، ولا ميل إلى الباطل والعدوان.

وقد صح عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: أبو بكر خيرٌ من مؤمن آل فرعون، أنه كان يكتُم إيمانه، ويدفع عن النبي، ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.

وقال حين سأله ابنه محمد بن الحنفية: من خير الناس؟ قال: أبو بكر قال: ثم من؟ قال: عمر قال: ثم أنت يا أبت [قال] ^(١): أبوك رجل من المسلمين، وقال: سبق رسول الله ﷺ، وصلى أبو بكر، وثلاث عمر ثم غشيتنا فتن فلا حول ولا قوة إلا بالله، وقوله: صلى أبو بكر، وثلاث عمر ثم غشيتنا فتن فلا حول ولا قوة إلا بالله، وقوله: مصل إذا كان ثانياً في ميدان السبق، ويؤيده حديث: «كنت أنا وأبو بكر كفريسي رهان سبقتة فأمن بي، ولو سبقني لأمنت به» لكن فيه مقال بل قيل بوضعه، والله أعلم.

والأحاديث الواردة في فضلها بل وفضل عثمان رضي الله عنهم عن عليّ كرم الله وجهه وأبرار أهل بيته تنيف عن مائتين، فرحم الله امرأ [عرف] ^(٢) قدره، وعرف لهم حقهم فأحبهم بحق رسول الله ﷺ، ولا يهلك مع الهالكين والعياذ بالله تعالى.

فائدة: قد تفهم الإشارة إلى مدح الخلفاء الراشدين وأهل الشورى، وذم من بعدهم والباغين من الآيات التي في سورة الشورى بعد قوله تعالى: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ فقوله: ﴿الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ إشارة إلى الصديق رضي الله عنه.

(١) وردت في المطبوعة «قالوا» والصواب ما أثبت.

(٢) وردت في المطبوعة «عوف» وهو تصحيف.

أما إيمانه فيشهد له قوله ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض، لرجح بهم إيمان أبي بكر».

وأما توكله فيشهد له قوله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، وأبو بكر منهم، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكوون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون» وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(١) إشارة إلى عمر رضي الله عنه.

أما تركه للفواحش فيشهد له حديث: «ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك».

وأما مغفرته عند الغضب فيدل له حديث عيينة ابن حصن لما دخل عليه فقال: «هيه يا ابن الخطاب فوالله إنك لا تعطينا الجزل ولا تقسم فينا بالعدل» فغضب عمر، حتى همَّ أن يوقع به، فقال ابن أخيه حنظل بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢) وهذا من الجاهلين فوالله ما تعداها عمر حين سمعها، وكان وقافاً عند كتاب الله رضي الله عنه، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٣) إشارة إلى أصحاب الشورى ومنهم عثمان وعلي رضي الله عنهما، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(٤) إشارة إلى علي رضي الله عنه وجهه، وإن ما فعله من انتصاره على أهل البغي مما يثاب ويمدح عليه، وكذلك قوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾^(٥) إشارة إلى عفوهِ وكرمه، ومن ثم نادى يوم الجمل أن لا يتبع منهزمهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يؤخذ أموالهم وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٦) إشارة إلى نزول الحسن بن علي عن الخلافة، وعفوهِ عن إساءة معاوية وأهل الشام، إصلاحه بين المسلمين، وحقنه دماءهم وقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ﴾^(٧) إشارة إلى من ظلم المذكورين وقتلهم أو بغى عليهم، كقاتل عمر وقتلة عثمان وقاتل علي والخارجين عليه

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٣٩.

كالحرورية، وقوله: ﴿وَلَمَّا أَتَتْكُمْ فَأَوْثَقْنَا فِي سَبِيلِ﴾^(١) إشارة إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقيامه على يزيد وقتاله على حقه إلى أن قتل هو وأهل بيته، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ، وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) إشارة إلى يزيد ومن بعده من بني أمية وغيرهم، والله أعلم برموز كتابه وأسرار خطابه.

تنبيه: ورد عنه عليه السلام أنه قال: «الآيات بعد المائتين»، وهذا يحتمل بعد المائتين من الهجرة، ويحتمل بعد المائتين بعد الألف، ويؤيد الأول أن جميع أو أكثر الآيات المذكورة من الزلازل والرياح والرجفات ومطر الدم والحجارة وفتن الاعتزال والقرامطة والزنج وصياح الطير والصيحة من السماء والغرق والنار وغير ذلك مما مر مفصلاً، إنها وقعت بعد المائتين في أواخر خلافة المأمون، إلى أن كثر في زمن المتوكل جداً، وتوالى ويدل له أيضاً حديث: «خياركم بعد المائتين»، كل خفيف الحاذ، وما روي مع ضعف: لا يولد بعد المائتين مولود لله فيه حاجة، وعلى هذا فلا يتقيد ظهور الآيات القريبة من الساعة بما بعد المائتين بعد الألف، ولو سلم أن المراد هو الاحتمال الثاني، وإنه المائتان بعد الألف، فلا يلزم تأخر المهدي إلى ذلك الوقت لجواز أن يخص الآيات ببعضها كالدابة وطلوع الشمس من مغربها وهدم الكعبة ونحوها، وعلى كل تقدير فظهور المهدي على رأس هذه المائة محتمل احتمالاً قوياً ظاهراً، وإن تأخر عنهما فلا يتأخر عن المائة الثانية قطعاً.

ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان غير مفتونين ولا مبديلين وكل واحدة من هذه الفتن تحتل مجلداً بل تفصيلها يحتمل مجلدات، وإنما اختصرنا وأشرنا إليها إشارة لأنها غير مقصودة حيث مضت، والمقصود ما نحن بصدد، ولئلا يمل السامعون، ولأن الوقت لا يسع غير ذلك فإن الموسم قريب ولأن تفصيلها يورث قسوة القلب والضغائن، وما لا ينبغي والمهم ذكر ما يلين القلوب ويحزنها ويزجرها عن الغفلة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه [وآله]^(٣) أجمعين.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

(١) سورة الشورى، الآية: ٤١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٢.

الباب الثاني

في الأمارات المتوسطة التي ظهرت ولم تنقض

في الأمارات المتوسطة التي ظهرت ولم تنقض بل تتزايد إلى أن تتكامل وتتصل بالقسم الثالث، ولنسرد أحاديثها اختصاراً.

فمنها: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع. أحمد والترمذي والضياء عن حذيفة رضي الله عنه وابن مردويه عن عليّ كرم الله وجهه: [اللكع]^(١): العبد أو الأحق أو اللئيم، أي حتى يكون اللثام والحمقاء أو العبيد رؤساء الناس.

ومنها: «يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر». الترمذي عن أنس.

كناية عن عدم المساعد والمعاون على الدين ومنها «يكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة» أبو نعيم والحاكم عن أنس.

ومنها: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد». أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وأنس.

ومنها أشراف الساعة [التفحص]^(٢) والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين واثتمان الخائن. الطبراني عن أنس.

(١) وردت في المطبوعة «لكع» وهو تحريف.

(٢) وردت في المطبوعة «التفحص» وهو تصحيف.

ومنها «من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة وأن يرى الهلال قبلاً بفتحتين أي ساعة ما يطلع فيقال لليلتين». الطبراني عن ابن مسعود وأنس. ومنها: «من اقتراب الساعة كثرة القطر» أي المطر وقلة النبات وكثرة القراء» أي العباد «وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء» الطبراني عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري.

ومنها «يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حنثة كحنثة الشعير أو التمر» أحمد والبخاري عن مرداس الأسلمي.

ومنها «لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً» أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

ومنها إن من أعلام الساعة وأشراتها أن يكون الولد غيظاً، وأن يكون المطر قيظاً، وأن تفيض الأشرار فيضاً. الطبراني عن ابن مسعود.

أي يكون الولد غيظ أبيه وأمه، أي يعمل ما يغيظهما بعقوقه لهما، ولا يكون طوعهما ويكون المطر في الصيف فلا ينبت شيء وهذا قريب مما مر.

إن من أشراتها كثرة القطر، وقلة النبات، وقبض الشرار، كثرتهم أي يكثر الشرار كثرة.

ومنها إن من أعلام الساعة وأشراتها أن يصدق الكاذب وأن يكذب الصادق، الطبراني عن ابن مسعود.

ومنها إن من أعلام الساعة وأشراتها أن يؤمن الخائن وأن يخون الأمين، وأن [تواصل] ^(١) الأطباق أي الأبعد والأجانب، وتقطع الأرحام. الطبراني عن ابن مسعود ^(٢).

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراتها أن يسود كل قبيلة منافقوها، وكل سوق فجارها. الطبراني عن ابن مسعود.

(١) وردت في المطبوعة «يتواصل».

(٢) وردت في المخطوطة «عنه» أي عن ابن مسعود، وما أثبتته أولى.

ومنها أن من أعلام الساعة [وأشراطها]^(١) أن يكون المؤمن في القبيلة أذل من النقد الطبراني عن ابن مسعود .

النقد : صغار الغنم .

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب ، وأن تخرب القلوب . الطبراني عنه .

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء . الطبراني عنه .

وهو كناية عن كثرة اللواط في الرجال ، وكثرة السحاق في النساء .

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتني^(٢) المساجد ، وأن تعلق المنابر . الطبراني عنه .

والمنابر : يجوز أن يكون بالموحدة جمع منبر ، وأن يكون المثناة جمع منارة ، وكلاهما واقع .

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن يعمر خراب الدنيا ، ويخرب عمرانها . الطبراني عنه ، وابن عساكر عن محمد بن عطية ، [السعدي]^(٣) أي يخرب البلد العامر ، ويبني بمحل آخر ، كما نقل مصر إلى القاهرة ، وكما نقل الكوفة إلى [نجف]^(٤) .

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراطها أن تظهر المعازف ، وتشرب الخمر . الطبراني عنه .

المعازف بالعين المهملة والزاي المعجمة جمع عزف ، قال في النهاية : وهي الدفوف وغيرها ، وقيل : كل لعب عزف .

(١) ساقطة من المخطوطة .

(٢) وردت في المخطوطة « يكتف » .

(٣) وردت في المطبوعة « السوري » والصواب ما أثبتته .

(٤) وردت في المطبوعة « نجف » وهو تحريف .

ومنها أن من أعلام الساعة وأشراتها أن تكثر الشرط والهوازن والغيازون واللبازون، وأن تكثر أولاد الزنا. الطبراني عن ابن مسعود.

و«الشُرط» بضم المعجمة وفتح المهملة هم أعوان السلطان، قال السخاوي: وهم الآن أعوان الظلمة، ويطلق غالباً على أقبح جماعة الولي ونحوه، وربما توسع في إطلاقه على ظلمة الحكام انتهى، «والهمزة» الغيبة والوقية في الناس، وذكر عيوبهم، وهمز يهمز فهو هَمَّاز للمبالغة، ومثله «اللمز» فهو لَمَّاز ولزّة ومنه قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ﴾^(١) وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) وقوله: ﴿وَيُلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَمْزَةً﴾^(٣) وقيل: اللّمْز هو العيب في الوجه، والهمز العيب بالغيب.

ومنها أن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة وقطع الأرحام، وفشو القلم وظهور الشهادة بالزور، وكتان شهادة الحق. أحمد والبخاري والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

وفشو القلم كناية عن كثرة الكتبة وقلة العلماء، يعني يكتفون بتعلّم الخط ليخالطوا الحكّام.

ومنها إذا استحلّت هذه الأمة الخمر بالنيذ، أي يشربونها ويسمونّها النبيذ، والنيذ في المعنى هو الخمر لأنها كل مسكر مائع، والربا بالبيع أن يتحملوا بإظهار الربا في صورة البيع والسحت بالهدية، أي يأكلون الرشوة والحرام الصرف، ويسمونّها هدية، والتجروا بالزكاة، أي يعطون الزكاة لأجرائهم أو يتعاضون بالزكاة، فيعطي هذا لهذا وبالعكس.

ومنها إذا استغنى النساء بالنساء والرجال بالرجال فبشّرهم بريح حمراء، تخرج من قبل المشرق، فتمسّخ بعضهم، ويخسف ببعض ذلك بما عصوا، وكانوا يعتدون. الديلمي عن أنس.

(١) سورة القلم، الآية: ١١.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) سورة الهمزة، الآية: ١.

ومنها إذا اتخذ الفبيء دولاً. الترمذي عن أبي هريرة .

قال في الفائق : الدّول بضم الدال وفتحها ما يدول الإنسان ، أي يدور من الحظ .
وقال في النهاية : هو الدول بضم الدال وفتح الواو جمع دولة بالضم ، وهو ما يتداول من
المال ، فيكون لقوم دون قوم ، ومعناه إذا اختص الأغنياء وأصحاب المناصب بأموال
الفبيء ، ومنعوا عنها مستحقيها .

ومنها أن يتخذ الأمانة مغنماً والزكاة مغرمأ ، ويتعلم لغير دين الترمذي عنه .

ومعناه أن يذهب المؤمن بأمانات الناس وودائعهم ، ويتخذونها مغانم كأنها غنيمة
وقعت في أيديهم ، ويعد الناس الزكاة غرامة أي يشق عليهم [أداؤها كما يشق عليهم]^(١)
الغرامات ، ويتعلمون لغير دين ، أي يحملهم على التعلم غير الدين من طلب المقاصد
الدينية الرديئة والمناصب الدنيوية .

ومنها إذا أطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ، وارتفعت
الأصوات في المساجد . الترمذي عنه .

ومعناه يقرب صديقه ويكرمه ، ويبعد أباه ويؤذيه ، ويكثر اللغط في المساجد
بحديث الدنيا ، كأنهم جالسون في ناديهم لا في مسجدهم .

ومنها إذ ساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أردلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره .
الترمذي عنه .

يعني يكون فاسق القوم كبيرهم وسيدهم والزعيم من يتكفل بأمر القوم ، ويقوم به
والرذل الرديء من كل شيء ، أي يقوم بأمرهم أردأهم .

ومنها إذا ظهرت القينات أي المغنيات والمعازف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه
الأمة أولها . الترمذي عنه .

وقد ظهر لعن آخر هذه الأمة أولها في الرافضة قبحهم الله تعالى .

(١) ساقطة من المطبوعة .

ومنها إذا اقترب الزمان كثر لبس الطيالة، وكثرت التجارة كثر المال وعظم رب المال لماله، وكثرت الشرط، وكانت إمارة الصبيان، كثرت^(١) النساء، وجار السلطان، وطفف المكيال والميزان. الطبراني والحاكم عن أبي ذر.

والتطيف: هو نقص الكيل والوزن والذرع وهو من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ وَزَنُوهُمْ - أَي بَاعُوهُمْ يَخْسِرُونَ *.

ومنها أن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل، فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيفترون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه، ولا أدري ما اسمه يحدث. مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود.

ومنها أن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنًا. مسلم عن ابن عمرو.

ومنها إذا اقترب الزمان يربي الرجل جرؤاً، أي ولد الكلب، خير له من أن يربي ولداً له، ولا يوقر كبير، ولا يرحم صغير، ويكثر أولاد الزنا، حتى أن الرجل ليغشي المرأة، أي يزني بها، على قارعة الطريق، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم في ذلك المداهن. الطبراني والحاكم عن أبي ذر ومعنى «يلبسون جلود الضأن» إلى آخره أنهم يلينون القول، ويحسنون الفعل رياء، وقلوبهم كالذئاب.

ومنها إذا كانت الفاحشة في كباركم، والمُلْك في صغاركم، والعلم في أزدالكُم، والمداهنة في خياركم. أحمد وابن ماجه عن أنس.

ومنها إذا تقارب الزمان ينقي الموت خيار أمتي، كما ينقي أحذكم الرطب من الطبق. الرامهرمزي عن أبي هريرة.

ومنها إذا تناول الناس في البنيان، وفي رواية: إذا رأيت الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتناولون في البنيان فانتظروا الساعة. الشيخان عن عمر.

(١) وردت في المخطوطة «كثرت».

وذلك حيث كثرت أموالهم ، وامتدت وجاهتهم ، ولم يكن لهم دأب ولا همة سوى البناء ، لأنهم لا يشتغلون بالعبادة ولا بالعلم ولا بالجهاد .

ومنها إذا وسد الأمر وفي رواية : أسند الأمر إلى غير أهله ، فانتظروا الساعة . البخاري عن أبي هريرة ، والله در القائل :

أيا دهر [أعملت]^(١) فينا إذا كان ووليتنا بعد وجه قفاكا
قلبت الشرار علينا رؤساء وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهر إن كنت [عاديتنا]^(٢) فها قد صنعت بنا ما كفاكا

منها من أشرط الساعة أن يتدافع أهل المسجد ولا يجدون إماماً يصلي بهم . أحمد وأبو داود عن سلامة بنت الحران .

ومنها لا يذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر ، فيتمرغ عليه ، ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين ما به إلا البلاء . مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنهم .

ومنها لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم ، وتجتلدوا بأسيا فكم ، ويزث دنياكم شراركم .

وهذا قد وقع كثيراً ولا يزال يقع من قتل الملوك ، وهم إن لم يكونوا أئمة لكنهم نواب عنهم فقتلهم بمنزلة الأئمة .

ومنها أن من أشرط الساعة أن يتلمس العلم عند الأصاغر . الطبراني عن أبي أمية الجفحي .

ومعناه أن الأكابر من أولاد المهاجرين والأنصار ، بل ومن قريش يشتغلون بطلب الدنيا والجاه ، ويبقى الأصاغر من الموالي وأخلاط الناس هم الذين يتعلمون ، فيطلب منهم الفتاوى في الوقعات .

(١) وردت في المطبوعة «أعلنت» .

(٢) وردت في المطبوعة «عاتبتنا» .

ومنها لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل أخاه، لا يدري فيم قتله . الحاكم في تاريخه
عن أبي موسى .

ومنها من أشراف الساعة أن يملك من ليس أهلاً أن يملك ، ويرفع الوضع ،
ويتضع الرفيع . نعيم بن حماد عن كثير بن مرة مرسلاً .

ومنها من اقتراب الساعة إذا كثر خطباء منابرهم ، وركن علماءكم إلى ولائكم ،
فأحلّوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال ، فأفتوهم بما يشتهون . الديلمي عن عليّ كرم
الله وجهه .

ومنها من اقتراب الساعة إذا تعلم علماءكم ليجلبوا به دنائركم ودراهمكم ، واتخذتم
القرآن تجارة . الديلمي عن عليّ كرم الله وجهه .

ومعناه يقرؤون القرآن بالأجرة ، لا يقرؤون لله .

ومنها لا تزال الأمة على شريعة حسنة ما لم تظهر فيهم ثلاث : ما لم يقبض منهم
العلم ، ويكثر فيهم ولد [الحنث]^(١) ويظهر فيهم السقارون ، قالوا : وما السقارون قال :
يكونون في آخر الزمان تكون تحيتهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن . أحمد والطبراني والحاكم
عن معاذ بن أنس .

قلت : [وهذا]^(٢) كثير في الفلاحين والبقالين والسفلة ، فيبدأ أحدهم بشتيم صاحبه
عند التلاقي قبل السلام ، بل ويمضي كل منهما ، ولا يعرفون السلام ، فإننا لله وإنا إليه
راجعون .

ومنها لا تقوم الساعة حتى يعمد الرجل إلى النبطية فيتزوجها على معيشة ، ويترك
بنت عمه لا ينظر إليها . الطبراني عن أبي أمامة .

ومعناه يتزوج الدنية الأصل لغناها ، ويترك بنت عمه الأصل لفقرها .

ومنها أن من أمارتها أن تقطع الأرحام ، ويؤخذ المال بغير حقه ، وتسفك الدماء ،

(١) وردت في المطبوعة «الخنث» .

(٢) وردت في المطبوعة «وهكذا» وهو تصحيف .

ويشتكي ذو القرابة قرابته ، لا يعود عليه بشيء ، ويطوف السائل لا يوضع في يده شيء . ابن أبي شيبة عن عبدالله .

ومنها لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عاراً ، ويكون الإسلام غريباً ، وحتى تبدو الشحناء بين الناس ، وحتى يقبض العلم ، ويهرب الزمان ، وينقص عمر البشر ، وتنقص السنون والثمرات ، ويؤمن الثمءاء ، ويتهم الأئمءاء ، ويصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويكثر الهرج ، وهو القتل ، وحتى تبنى الغرف أي القصور فتطال ، وحتى تحزن ذوات الأولاد ، أي لعقوق أولادهم ، وتفرح العواقر ، ويظهر البغي والحسد والشح ، ويهلك الناس ، ويكثر الكذب ، ويقل الصدق ، وحتى تختلف الأمور بين الناس ، ويتبع الهوى ، ويقضى بالظن ، ويكثر المطر ، ويقل الثمن ، ويغيض العلم غيضاً ، أي ينقص ، ويفيض الجهل فيضاً ، أي يكثر ، ويكون الولد غيظاً ، والشتاء قيظاً ، سبق تفسيرهما ، وحتى يجهر بالفحشاء ، وتزوي الأرض زياً ، وتقوم الخطباء بالكذب ، فيجعلون حقي لشرار أمتي ، فمن صدقهم بذلك ، ورضي به ، لم يرح رائحة الجنة . ابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نصر السجزي وابن عساكر عن أبي موسى ، وسنده جيد .

ومنها لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بالسنتهم ، كما تأكل البقر بالسنتها . أحمد والخرائطي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص .

ومعناه يمدحون الناس ، ويظهرون محبتهم نفاقاً ، ويطرونهم ويمدحون أنفسهم ، حتى يتوسلوا إلى أخذ الأموال منهم .

ومنها لا تقوم الساعة حتى يتسافد الناس تسافد البهائم في الطرق . الطبراني عن ابن عمر .

ومنها لا تقوم الساعة حتى توجد المرأة نهاراً تنكح ، أي تجامع وسط الطريق ، لا ينكر ذلك أحد ، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول : لو نحيثها عن الطريق قليلاً ، فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم . الحاكم عن أبي هريرة .

ومنها لا تقوم الساعة حتى تتناكر القلوب ، وتختلف الأقاويل ، ويختلف الإخوان من

الأب والأم في الدين . الديلمي عن حذيفة .

[ومنها لا تقوم الساعة حتى يتغيروا على الغلام كما يتغير على المرأة] . الديلمي عن أبي هريرة^(١) .

ومنها لا تقوم الساعة حتى يعز الله فيه ثلاثاً : درهماً من حلال ، وعلماً مستفاداً ، وأخاً في الله عز وجل . الديلمي عن حذيفة .

يعني تقل فيه هذه الثلاثة ، حتى لا تكاد توجد .

ومنها إذا رأيت الصدقة كتمت وغلمت ، واستؤجر على الغزو ، وأخرب العامر ، وأعمر الخراب ، ورأيت الرجل يتمرس بأمانته ، وفي رواية : بدينه ، كما يتمرس البعير بالشجر ، فإنك والساعة كهاتين . عبد الرزاق والطبراني عن عبد الله بن زينب الجندي .

قال في النهاية : يترس : أي يتغلب ويعبث بدينه ، كما يعبث البعير بالشجر .

ومنها أن من أشراط الساعة حيف الأئمة ، وتصديق بالنجوم ، وتكذيب بالقدر . البزار عن عليّ كرم الله وجهه مرفوعاً ، وسنده حسن .

ومنها لا يذهب الناس حتى يقولوا القرآن مخلوق ، [وليس بخالق]^(٢) ولكنه كلام الله منه بدأ ، وإليه يعود ، اللالكائي والأصبهاني عن عليّ كرم الله وجهه .

ومنها إذا اجتمع عشرون رجلاً أو أكثر أو أقل ، فلم يكن فيهم من يهاب في الله ، فقد حضر الأمر . البيهقي وابن عساكر عن عبد الله بن بشر الصحابي .

ومنها من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد فلا يركع ركعتين . ابن أبي داود عن ابن مسعود .

ومنها تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة أشياء فمنها : نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها ، وذلك مما حرّم الله ورسوله ، ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح

(١) هذا الحديث ساقط من المطبوعة .

(٢) ساقطة من المخطوطة .

الرجل الرجل وذلك مما حرّم الله ورسوله، ويمقت الله عليه، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرّم الله ورسوله، ويمقت الله عليه ورسوله، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على ذلك حتى يتوبوا إلى الله توبةً نصوحاً. الدارقطني والبيهقي وابن النجار عن أبي قال الصحابي.

ومنها لبأتين على الناس زمان يكون فيه استشارة الإمام وسلطان النساء وإمارة السفهاء. ابن المناوي عن عليّ كرم الله وجهه.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة، وحتى تتخذ المساجد [طرقاً]^(١)، فلا يسجد لله فيها وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين، وحتى يبلغ التاجر الأفقين، فلا يجد ربحاً. الطبراني عن ابن مسعود.

وهو كناية عن عدم الرغبة في الصلاة، وعدم توقير الصغير الكبير، وعدم البركة في التجارة لغلبة الكذب والغش على التجار.

ومنها لا تقوم الساعة حتى يتحول شرار أهل الشام إلى العراق، وخيار أهل العراق إلى الشام. ابن أبي شيبه عن أبي [أمامة]^(٢).

ومنها يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ من شاهق إلى شاهق، أو من جُحر إلى جُحر كالثعلب يفر بأشباهه، وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله، فإذا كان كذلك حلّت الغربة يكون في ذلك الزمان هلاك الرجل على يد أبويه إن كان له أبوان، وإلا فعلى يد زوجته وإلا فعلى يدي الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها. أبو نعيم والبيهقي [والخليلي]^(٣) والرافعي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ومنها يأتي على الناس زمان يقعد الرجل إلى قومه فما يمنعه أن يقوم إلا مخافة أن يقعوا فيه. الديلمي عن أبي هريرة.

(١) وردت في المطبوعة «قاطر» وهو تحريف.

(٢) ساقطة من المخطوطة

(٣) وردت في المطبوعة «الخليل» وهو تصحيف.

ومنها سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد ، لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله بلسانه وبقلبه ، فذلك الذي سبقت له السوابق ، ورجل عرف دين الله فصدق به . أبو نصر السجزي وأبو نعيم عن عمر رضي الله عنه .

ومنها يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم ، في أمر دنياهم ، فلا تجالسوهم فليس الله فيهم حاجة . البيهقي عن الحسن مرسلاً .

ومنها يأتي على الناس زمان يستخفي المؤمن فيهم ، كما يستخفي المنافق فيكم . ابن السني عن جابر رضي الله عنه .

ومنها يأتي على الناس زمان همهم بطونهم ، وشر همهم متاعهم ، وقبلتهم نساؤهم ، ودينهم درهمهم ودنانيرهم ، أولئك شر الخلق ، لا خلاق لهم عند الله . السلمي عن عليّ .

[ومنها يأتي على الناس زمان يعرض الموسر على ما في يده . أحمد عن عليّ]^(١) .

ومنها [أن يأتي]^(٢) على الناس زمان يقتل فيه العلماء ، كما تقتل الكلاب ، فيا ليت العلماء في ذلك الزمان تحامقوا . الديلمي وابن عساكر عن عليّ كرم الله وجهه .

ومنها أن يأتي^(٣) على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر . أبو نعيم عن أبي هريرة .

ومنها لا تذهب الأيام والليالي حتى يخلق القرآن في صدور أقوام من هذه الأمة ، كما تخلق الثياب ، ويكون ما سواه أعجب لهم ، ويكون أمرهم طمعاً كله ، لا يخالطه خوف إن قصر في حق الله تعالى منى نفسه الأمانى ، وإن تجاوز إلى ما نهى الله عنه ، قال : أرجو أن يتجاوز الله عني ، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أفضلهم في نفسه المداهن ، الذي [لا يأمر بالحق ولا ينهى عن المنكر]^(٤) . أبو نعيم عز . معقل بن يسار .

(١) ساقط من المطبوعة .

(٢) وردت في المخطوطة «لا يأمر ولا ينهى» وما أثبتته أولى .

(٣) وردت في المطبوعة «أتى» الصواب ما أثبت .

(٤) ساقطة من المطبوعة .

ومنها يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه العالم، ولا يستحي فيه من الحليم، ولا يوقر فيه الكبير، ولا يرحم فيه الصغير، يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا، قلوبهم قلوب الأعاجم وألستهم السنة العرب، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، يمشي الصالح فيهم [متخفياً]^(١)، أولئك شرار خلق الله، لا ينظر الله إليهم يوم القيامة. الديلمي عن عليّ.

ومنها يجيء يوم القيامة المصحف والمسجد والعترة، فيقول المصحف: يا رب حرقوني؛ ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب خرّبوني، وعطلّوني، وضيعوني، وتقول العترة: يا رب طردونا، وقتلونا، وشرّدونا، وأجثو بركبتي للخصومة فيقول الله تبارك وتعالى: ذلك إليّ وأنا أولى بذلك. الديلمي عن جابر وأحمد والطبراني عن أبي أمامة.

وكانه إشارة إلى ما وقع في زمن بني أمية ومن بعدهم من قتل أهل البيت، وتعطيل مسجده ﷺ، وربط الخيل فيه في زمن يزيد، وتمزيق المصحف في زمن الوليد، أو يكون تمزيق المصحف كناية عن عدم العمل به.

ومنها يوشك أن لا تجدوا بيوتاً تكنكم تهلكها الرواجف ولا دواب تبلغوا عليها في أسفاركم تهلكها الصواعق. نعيم عن أبي هريرة.

ومنها إذا زخرفتם مساجدكم، وحليتم مصاحفكم، فالدمار عليكم. الحكيم عن أبي الدرداء.

ومنها من اقتراب الساعة أن يصلي خمسون نفساً، لا يقبل لأحدهم صلاة. أبو الشيخ عن ابن مسعود.

ومعناه أنهم لا يأتون بشروطها وأركانها، فلا تصح لأحدهم صلاة، فلا تقبل منهم.

ومنها أن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة. مسلم عن عبد الله بن مسعود.

ومنها من أشرط الساعة تقارب الأسواق قلت: ما تقارب الأسواق؟ قال: أن يشكو

(١) وردت في المخطوطة «مستخفياً».

الناس بعضهم إلى بعض قلة الإصابة أي الريح، ويكثر ولد البغي، وتفشو الغيبة، ويعظم رب المال أي يكرم من جهة ماله، وترتفع الأصوات في المساجد، ويظهر أهل المنكر، ويظهر البناء. ابن مردويه عن أبي هريرة.

ومنها من أشرط الساعة سوء الجوار، وقطيعة الأرحام، وأن يعطل السيف من الجهاد، وأن تجلب الدنيا بالدين. ابن مردويه عن أبي هريرة.

ومنها من أشرط الساعة أن يظهر الفحش والتفحش، وسوء الخلق، وسوء الجوار. ابن أبي شيبة عن ابن مسعود.

ومنها لا تقوم الساعة حتى لا تحمل النخلة إلا تمرة. ابن أبي شيبة عن رجاء ابن حيوة.

كناية عن قلة الثمار والبركات.

ومنها من أشرط الساعة موت البدار. ابن أبي شيبة عن مجاهد، وفي رواية عن الشعبي: من اقترب الساعة موت الفجأة.

ومنها يكون في آخر الزمان رجال يركبون على الميائثر، حتى يأتون أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإِنَّهن ملعونات، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمتهم نساء، كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم، قال ابن عمرو: قلت لأبي: وما الميائثر؟ قال: سروج عظام. أحمد والحاكم عن ابن عمرو.

ولهذا الحديث شواهد وطرق^(١) منها عند مسلم عن أبي هريرة: صنفان من أمتي من أهل النار، لم أرهم، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها، وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. قال النووي في رياض

(١) وردت في المخطوطة هكذا «لهذا الحديث طرق وشواهد» بتقديم الأول على الثاني.

الصالحين^(١): أي يكبرن رؤوسهن ، ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوهما انتهى .

وقد فصلنا الكلام في هذه المسألة في رسالة مستقلة سميناهـا «أجوبة الخمس عن الأسئلة الخمس» .

ومنها يخرج في هذه الأمة في آخر زمان رجال معهم سياط ، كأنها أذنان البقر ، يغدون في سخط الله ، ويروحون في غضبه . أحمد والحاكم وصححه عن أبي أمامة .

ومنها عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حج النبي ﷺ حجة الوداع ، ثم أخذ بحلقة باب الكعبة ، فقال : «يا أيها الناس ألا أخبركم بأشراط الساعة؟» فقام إليه سلمان فقال : أخبرنا فذاك أبي وأمي يا رسول الله قال : «من أشراط الساعة إضاعة الصلاة ، والميل مع الهوى ، وتعظيم رب المال» فقال سلمان : ويكون هذا يا رسول الله؟ قال : «نعم والذي نفس محمد بيده ، فعند ذلك يا سلمان ، وتكون الزكاة مغرمًا ، والفيء مغنًى ، ويصدق الكاذب ، ويكذب الصادق ، ويؤمن الخائن ، ويخون الأمين ، ويتكلم الرويضة» . قالوا : وما الرويضة؟ قال : «يتكلم في الناس من لم يكن يتكلم ، وينكر الحق تسعة أعشارهم ، ويذهب الإسلام فلا يبقى إلا [اسمه]^(٢) ، [ويذهب القرآن فلا يبقى إلا رسمه]^(٣) ، وتحل المصاحف بالذهب ، ويتسمن ذكور أمتي ، وتكون المشورة للإماء ، ويخطب على المنابر الصبيان ، وتكون المخاطبة للنساء ، فعند ذلك تزخرف المساجد ، كما يزخرف الكنائس والبيع ، وتطول المنابر ، وتكثر الصفوف مع قلوب متباغضة ، وألسن مختلفة ، وأهواء حمة» قال سلمان : ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال : «نعم والذي نفس محمد بيده عند ذلك يا سلمان يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة ، ويذوب قلبه في [جوفه]^(٤) ، كما يذوب الملح في الماء ، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره ، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، ويغار على الغلمان^(٥) ، كما يغار على الجارية البكر ، فعند ذلك يا سلمان تكون أمراء فسقة ، ووزراء فجرة ، وأمناء خونة ،

(١) انظر رياض الصالحين في شرحه للحديث .

(٢) وردت في المطبوعة «رسمه» .

(٣) ساقطة من المطبوعة .

(٤) ساقطة من المطبوعة .

(٥) وردت في المخطوطة «الغلام» والصواب ما أثبتته .

يضيعون الصلاة، ويتبعون الشهوات، فإن أدركتموهم فصلّوا صلاتكم لوقتها، عند ذلك يا سلمان يجيء سبي من المشرق، وسبي من المغرب، جثاؤهم جثاء الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً، عند ذلك يا سلمان يحج إلى هذا البيت الحرام، ويحج ملوكهم لهواً وتنزهاً، وأغنياؤهم للتجارة ومساكينهم للمسألة، وقراؤهم رياء، وسمعة قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده عند ذلك يا سلمان يفشو الكذب، ويظهر الكوكب له الذنب، وتشارك المرأة زوجها في التجارة، وتقارب الأسواق» قال: وما تقاربها؟ قال: «كسادها، وقلة أرباحها عند ذلك يا سلمان يبعث الله ريحاً، فيها حيات صفر، فتلتقط رؤوس العلماء لما رأوا المنكر فلم يغيروه» قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي بعث محمداً بالحق». رواه ابن مردويه عنه^(١).

قوله في الحديث: «وتكثر الصفوف... الخ، معناه: أنهم لا يتمون الصفوف الأول فالأول، بل يصطف كل ثلاثة في صف وأربعة في صف، وهكذا، فتكثر الصفوف، ويؤيده قوله: «مع قلوب متباغضة» لأن ذلك يورث تخالف القلوب وتباغضها، كما أشار إليه حديث «أقيموا صفوفكم» أي أتموها، ولا تختلفوا فيخالف الله بين قلوبكم، وقد جاء عنه رواية أخرى أبسط منه.

قال القاضي أبو الفرج المعافي في المجلس الحادي والستين من كتابه «الجلس والأنيس» ما لفظه: حدثنا محمد بن الحسن بن علي سعيد أبو الحسن الترمذي في صفر سنة سبع عشرة وثلاثمائة أملاه من أصل كتابه، قال: حدثنا أبو سعيد محمد بن الحسن بن ميسرة، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أبي شعيب الخواتمي، قال: حدثنا إبراهيم بن مخلد عن سليمان الخضاب مولى لبني شيبه، قال: أخبرني ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: لما حج النبي ﷺ حجة الوداع، أخذ بحلقتي باب الكعبة، ثم أقبل بوجهه على الناس، فقال: «يا أيها الناس إني أخبرتكم بأشراط القيامة إن من أشراط القيامة إماتة الصلوات، واتباع الشهوات، والميل مع الهوى، وتعظيم رب المال» قال: فوثب سلمان فقال: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «أي والذي نفسي بيده،

(١) «عنه» بمعنى عن ابن عباس.

عندها يذوب قلب المؤمن، كما يذوب الملح في الماء، مما يرى ولا يستطيع أن يغير» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «أي والذي نفسي بيده إن المؤمن ليمشي بينهم يومئذ بالخافة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده عندها يكون المطر قيظاً، والولد غيظاً، ويفيض اللثام فيضاً، ويفيض الكرام غيضاً» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده للمؤمن يومئذ أذل من الأمة، فعندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدق الكذاب، ويكذب الصادق» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده عندها يكون أمراء جوراً، ووزراء فسقة، وأمناء خونة، وإمارة النساء، ومشاورة الإماء، وصعود الصبيان المنابر» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، عندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم، إن سكتوا استباحوهم، ويستأثرون بفيثهم، وليطؤون حريمهم، ويجار في حكمهم، ويليهم أقوام جثاهم جثا الناس».

قال القاضي أبو الفرج: هو هكذا في الكتاب، والصواب «جثتهم جثة الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين، لا يوقرون كبيراً، ولا يرحمون صغيراً» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان عندها تزخرف المساجد، كما تزخرف الكنائس والبيع، وتحلى المصاحف، ويطيلون المنابر، ويكثر العقوق، قلوبهم سباغضة، وأهواؤهم حمة، وألسنتهم لمختلفة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «أي والذي نفسي بيده عندها يكون الكذب ظرفاً، والزكاة مغرمأً، ويظهر الرشاء، ويكثر الربا، ويتعاملون بالعينة، ويتخذون المساجد طرقاً» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، عندها تتخذ جلود النمر صفوفاً، يتحلّى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير، ويتهاونون بالدماء، وتظهر الخمور والقينات والمعازف، وتشارك المرأة زوجها في التجارة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، عندما يطلع كوكب الذنب، ويكثر السيجان، ويتكلم الروبيضة» قال سلمان: وما الروبيضة؟ قال: «يتكلم في العامة من لم يكن يتكلم، ويحتقن الرجل للسمنة، ويتغنى بكتاب الله عز وجل، ويتخذ القرآن مزامير، ويباع الحكم، ويكثر

الشرط» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، يحج أمراء الناس لهواً وتنزهاً، وأوساط الناس للتجارة، وفقراء الناس للمسألة، وقراء الناس للرياء والسمعة» قال سلمان: بأبي أنت وأمي إن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يغار على الغلام، كما يغار على الجارية البكر، ويخطب الغلام كما تخطب المرأة، ويهيا كما يهيا المرأة، وتشبه النساء بالرجال، ويتشبه الرجال بالنساء، ويكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وتركب ذوات الفروج السروج، فعليه من أمتي لعنة الله» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يظهر قراء عبادتهم التلاوم بينهم، أولئك يسمون في ملكوت السماء الأنجاس الأرجاس» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يتشَبَّب المشيخة، قال أحسبه ذهب من كتابي هذا الحرف وحده، أن الحمزة خضاب الإسلام، والصفرة خضاب الإيوان، والسواد خضاب الشيطان» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يوضع الدين، وترفع الدنيا، ويشيد البناء، وتعطل الحدود، ويميتون سنتي، فعندها يا سلمان لا يرى إلا ذماً، ولا ينصرهم الله» قال: بأبي أنت وأمي، وهم يومئذ مسلمون كيف لا ينصرون، قال: «يا سلمان إن نصرة الله الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأن أقواماً يذمون الله تعالى، ومذمتهم إياه أن يشكوه، وذلك عند تقارب الأسواق» قال: وما تقارب الأسواق؟ قال: «عند كسادها كلُّ يقول ما أبيع ولا أشتري، ولا أربح ولا رازق إلا الله تعالى» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، عندها يحفو الرجل والديه، ويبر صديقه، ويتألفون بغير الله تعالى، ويحلف الرجل من غير أن يستحلف، ويتحالفون بالطلاق، يا سلمان لا يحلف بها إلا فاسق، ويفشو الموت موت الفجأة، ويحدث الرجل سوطه» قال سلمان: بأبي أنت وأمي، وإن هذا لكائن؟ قال: إي والذي نفسي بيده، تخرج الدابة، وتطلع الشمس من مغربها، ويخرج الدجال وريح حمراء، ويكون خسف وقذف وبأجوج ومأجوج وهدم الكعبة، وتمور الأرض، وإذا ذكر الرجل روى.

ومنها عن عليٍّ كَرَّمَ الله وجهه أن عمر رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ^(١) عن

(١) ساقطة من المطبوعة.

الساعة فقال: «ذلك عند حيف الأئمة، وتكذيب بالقدر، وإيهان بالنجوم، وقوم يتخذون الأمانة مغنياً، والزكاة مغماً، والفاحشة زيارة» فسألته عن الفاحشة زيارة قال: «الرجلان من أهل الفسق يصنع أحدهما طعاماً وشراباً، ويأتيه المرأة فيقول: اصنع ما كنت تصنع، فيتزاورون على ذلك، قال فعند ذلك هلكت أمتي يا ابن الخطاب» رواه ابن أبي الدنيا والبخاري عنه.

ومنها عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقترب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا بالبناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحكم ضعفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة، واثمن الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً، وفاض اللثام فيضاً، وغاض الكرام غيضاً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة، إذا لبسوا مسوك الضأن، قلوبهم أتن من الجيفة، وأمر من الصبر، يغشيه الله فتنة يتهاوكون فيها، تهاوك اليهود الظلمة، وتظهر الصفراء يعني الدنانير، وتطلب البيضاء، وتكثر الخطباء، ويقل الأمر بالمعروف، وحليت للمصاحف، وصورت المساجد، وطولت المنابر، وخربت القلوب، وشربت الخمر، وعطلت الحدود، وولدت الأمة ربتها، وترى الخفاة العراة قد صاروا ملوكاً، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وحلف بغير الله، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسلم المعرفة، وتفقه لغير دين الله، وطلب الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولا، والأمانة مغنياً، والزكاة مغماً، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع امرأته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمر في الطرق، واتخذ الظلم فجراً، وبيع الحكم، وكثرت الشرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلد السباع صفاً، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء، وخسفاً ومسحاً وقذفاً، وآيات» أخرجه أبو نعيم في الحلية عنه.

ومنها إذا ظهر القول، وخزن العمل، واثلفت الألسن، واختلفت القلوب، وقطع

كل ذي رحم رحمه، فعند ذلك لعنهم الله، فأصمهم، وأعمى أبصارهم. أحمد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن سلمان موقوفاً، والحسن بن سفيان والطبراني وابن عساكر والديلمي عنه مرفوعاً.

ومنها إذا الناس أظهروا العلم، وضيّعوا العمل، وتحابوا بالآلسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله عند ذلك، فأصمهم، وأعمى أبصارهم. ابن أبي الدنيا في كتاب العلم عن الحسن رحمه الله.

ولنختم هذا القسم بحديث عن أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه، جامع لأكثر ما ذكر وزيادة تبركاً قال: قال ﷺ: «من اقتراب الساعة إذا رأيتم الناس أضاعوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكبائر، وأكلوا الربا، وأكلوا الرشا، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واتخذوا القرآن مزامير، واتخذوا جلود السباع صفاً، والمساجد طرقاً، والحرير لباساً، وكثر الجور، وفشا الزنا، وتهاونوا بالطلاق، واتّمن الخائن، وخون الأمين، وصار المطر قيظاً، والولد غيظاً، وأمراء فجرة، ووزراء كذبة، وأمناء خونة، وعرفاء ظلمة، وقلت العلماء، وكثر القراء، وقلت الفقهاء، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنابر، فسدت القلوب، واتخذوا القينات، واستحلت المعازف، وشربت الخمر، وعطلت الحدود، ونقصت الشهور، ونقضت المواثيق، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وركب النساء البراذين، وتشبهت النساء بالرجال، والرجال بالنساء، وحلف بغير الله، وشهد الرجل من غير أن يستشهد، وكانت الزكاة مغرمًا، والأمانة مغنيًا، وأطاع الرجل امرأته، وعق أمه، وقرب صديقه، وأقصى أباه، وصارت الإمارات موارث، وسب آخر هذه الأمة أولها، وأكرم الرجل اتقاء شره، وكثرت الشرط، وصعدت الجهال المنابر، ولبس الرجال التيجان، وضيقت الطرقات، وشيد البناء، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وكثر خطباء منابرهم، وركن علماءكم إلى ولائكم فأحلوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال، وأفتوهم بما يشتهون، وتعلم علماءكم العلم، ليجلبوا به دنائيركم ودراهمكم، فانخذتم القرآن تجارة، وضيّعتم حق الله في أموالكم، وصارت أموالكم عند شراركم، وقطعتم أرحامكم، وشربتم الخمر في ناديكم، ولعبتم بالميسر، وضرّبتم بالكبر، والمعرفة والمزامير ومنعتم محابيجكم زكاتكم، ورأيتموها مغرمًا، وقتل البريء، ليغيظ العامة،

واختلفت أهواؤكم، وصار العطاء في العبيد والسقاط، وطففت المكايل والموازين،
وبوليت أموركم السفهاء» أبو الشيخ وعويس والديلمي كلهم عن عليّ كرم الله وجهه .

ولنشرع في شرح ألفاظه ليتم به النفع .

قوله : «أضاعوا الصلاة» أي تركوها أو أخلوا بشيء من أركانها وواجباتها، ولا ينافي
هذا ما ورد أن أول ما يرفع من الأمة الأمانة، وآخر ما يرفع الصلاة، لأن المراد بقاء صورة
الصلاة، وهنا أضاعها بالإخلال بخشوعها وشروطها .

وقوله : «أضاعوا الأمانة» قال في النهاية : الأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة
والثقة والأمانة، انتهى، والكل جائز هنا .

وأما في قوله الآتي : «الأمانة مغنبا» فالمراد بها الوديعة .

قوله : «وشيدوا البناء» أي طولوها من الشيد، بمعنى الرفع أو جصصوها، وعملوها
بالشيد، وهو كل ما طليت به الحائط من جص وغيره .

وقوله : «واتبعوا الهوى» أي ما تهواه أنفسهم من العقائد الفاسدة والآراء الباطلة
المخالفة للأحاديث الصحيحة .

قوله : «باعوا الدين بالدنيا» أي رضوا بنقص دينهم مع سلامة دنياهم، وآثروا سلامة
الدنيا على سلامة الدين .

قوله : «اتخذوا القرآن مزامير» أي يتغنون به من غير تدبر في مواعظه وأحكامه .

قوله : «اتخذوا جلود السباع صفاً» جمع صفا، وهي للسرّج بمنزلة المثرة من
الرحل، وهو شيء يفرش في السرّج، ويجلس عليه، ومنه الحديث : «نهى عن صفوف
النمور» .

قوله : «المساجد طرقاً» أي يمرون بالمساجد لغير الصلاة، ولا يصلون فيه ركعتين .

قوله : «تهانوا بالطلاق» أي يحلفون بالطلاق كثيراً، لا يبالون بوقوعه .

قوله : «صار المطر قيظاً» مر تفسيره .

قوله: «اتَّخَذُوا الْقِيُنَاتِ» جمع قينة، وهي الأمة المغنية، والمعازف آلات اللهو كالطنبور والبربط والرباب وغيرها.

قوله: «عطلت الحدود» كأن لا يرجم الزاني، ولا يقطع السارق، ولا يحذف القاذف.

قوله: «نقصت الشهور» بالصاد المهملة أي تكون الشهور أكثرها ناقصة.

قوله: «ونقضت المواثيق» بالصاد المعجمة المواثيق جمع ميثاق، وهو العهد.

قوله: «ركب النساء البراذين» جمع برذون بكسر الموحدة وسكون الراء، وفتح الذال المعجمة آخره نون الدابة والمؤنث برذنه وجمعه براذين، ويقال لصاحبه: المبرذن والمعنى أنهم يركبن الدواب، كما في رواية يركبن السرج تشبهاً بالرجال.

قوله: «حلف بغير الله» كأن يقول: ورأس السلطان، أو حياة سيدي أو والدي، أو والأمانة أو غير ذلك من الطلاق أو العتق أو نحو ذلك، وقد أتى زمان لا يصدقون إلا إن حلف بغير الله، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: «كانت الزكاة مغرمًا» إلى قوله: «أقصى أباه» مر تفسيرها.

قوله: «صارت الإملارات مواريث» أي لا يراعون في الإمارة الدين والرشد والتدبير والعلم وغير ذلك من صفات الكمال، بل يقولون: هذا ولد الأمير أو أخوه، فهو أحق بالإمارة، وأول من أحدث هذا بنو أمية، فولّوا أبناءهم، ولم يفعل أحد من الخلفاء الراشدين هذا، فلم يولوا أولادهم، ولا قرابتهم.

قوله: «وسب آخر هذه الأمة أولها» إشارة إلى ما اشتهر من الرفض، وسب عامة الصحابة والتابعين والسلف الصالح، حتى أن الرجل منهم يسب أباه وجدته الذي مات على السنة، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: «وأكرم الرجل اتقاء شره» أي يخاف إن لم يكرمه أن يناله شره، وليس به من الدين شيء.

قوله: «كثرت الشرط» أي أعوان الظلمة.

قوله: «واستغنى الرجال بالرجال» . . . الخ مر تفسيره.

قوله: «وصعدت الجهال المنابر» معناه واضح، وفي رواية: الجهلاء بدل الجهال ومعنى السمان، أي الذين ليس عندهم خوف الآخرة، فإن الخوف يذيب الشحم، ولذا قال الشافعي: ما رأيت سميناً أفلح قط.

قوله: «ولبس الرجال التيجان» أي رجعوا إلى عادة المجوس والفرس من لبس التاج، فقد قال عليه السلام: «العمائم تيجان العرب» أي أن العرب لا يلبسون التاج، وإنما يلبسون العمائم بدلها.

قوله: «وضيقت الطرقات» أي يبنون في الطريق الشارع الدكك، ويجلسون فيها، ويتحدثون بالباطل، ويضيقون الطرق على المارة.

قوله: «وخطباء منابرهم» أي أنهم لا يخطبون لله ولا للاستحقاق، وإنما يشترتون وظيفة الخطابة، فيكثر الراغبون في ذلك، ولقد رأينا في المسجد الواحد أكثر من عشرين خطيباً.

قوله: «ركن علماءكم»... إلخ أن يميل العلماء إلى الملوك، فيفتون بمقتضى هواهم، ولو خالف الشرع، ويتوصلون بذلك إلى دنياهم، فيجعلون لهم الحرام من المعازف، وأكل الحرام والكبر والغرور والمكوس، ويجرمون عليهم الحلال من التواضع، والتقليل وإقامة الحدود ونحوها.

قوله: «وتعلم علماءكم»... إلخ أي لا يتعلمون لوجه الله ولدينهم، وإنما قصدتهم في تحصيل الدنيا، ومن علامة ذلك أن أكثر رغبتهم في الفلسفيات والحكميات، فتراهم جاهلين بالسنة وشرائع الأحكام، ويعدون أنفسهم من علماء الإسلام، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: «اتخذتم القرآن تجارة» أي إن أعطوا أجره على القراءة قرؤوا وإلا لم يقرأوا.

قوله: «ضيّعتم حق الله في أموالكم» أي من الزكاة وغير ذلك من الحقوق المالية، إما بعدم إخراجها أو بالإخلال ببعض شروطها من الاستحقاق، وقدّر في الواجب وغير ذلك.

قوله: «وشربتم الخمر في ناديككم» أي في مجالسكم العامة غير مختفين بل مجاهرين

بشرها، وليس هذا تكراراً مع قوله السابق: «وشربت الخمر» لأن ذاك هو الشرب لا بقيد المجاهرة، بخلاف هذا وكذا يقال في حديث الخمر في الطرق.

قوله: «ولعبتم بالميسر وضربتم بالكير النخ» قال في النهاية: (الميسر هو القمار، ومنه الحديث «الشطرنج ميسر العجم» شبه اللعب به بالميسر، وهو القمار بالقداح، وكل شيء فيه قمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوذ) انتهى. أي ومنه اللعب في الأعياد بالبيض ونحوه، والكير بفتح الحين البطل ذو الرأسين، وقيل: الطبل الذي له وجه واحد، والمعزفة واحدة المعازف، وقد مر تفسيرها، والمزامير جمع مزمارة وهو الآلة التي يزمرها، ويقال له بالفارسية: صرناً.

قوله: «منعتم محاويجكم زكاتكم» معناه واضح.

قوله: «قتل البريء ليغيظ العامة بقتله» معناه أنهم لا يقتلون القاتل، ويقتلون بريئاً من قبيلته أو قريبه، ليغظيهم ذلك وهو جمع بين ذنبيين، ترك القود، وقتل البريء.

قوله: «صار العطاء في العبيد والسقاط» سقطا الناس أرذاهم وأدانيهم فهو كقوله: وسد الأمر إلى غير أهله.

قوله: «وظف المكايل والموازين» التطفيف هو بخس الكيل والوزن، فهذه جملة من الأشرار من القسم الثاني، وهي كلها موجودة، وهي في التزايد يوماً فيوماً، وقد كادت تبلغ الغاية، أو قد بلغت. فنسأل الله أن يجنينا الفتنة، ويعصمنا من المحن، ويميتنا على السنن، ويغفر لنا الذنوب التي جنيناها في السر والعلن، إنه جواد كريم ذو المنن بجاء جد الحسين والحسن، آمين يا أرحم الراحمين.

خاتمة:

في سرد أحاديث تناسب المقام.

عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادة في الهرج [كاهجرة]»^(١) إني» رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.

(١) وردت في المطبوعة «كهجرة».

وعن الزبير بن عدي قال : شكونا إلى أنس من الحجاج ، فقال : اصبروا إنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي^(١) بعده شر منه ، حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم ﷺ رواه البخاري والترمذي .

وعن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي ، لم يرفع إلى يوم القيامة» رواه أبو داود وابن ماجه .

وعن عتبة بن غزوان قال : إن من ورائكم أيام الصابر المتمسك فيه يومئذ بمثل ما أنتم عليه ، له كأجر خمسين منكم» رواه الطبراني .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال النبي ﷺ : «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس ، مرجت عهودهم وأماناتهم ، واختلفوا وكانوا [كذلك]^(٢) ، وشبك بين أصابعه ، قال : فيم تأمرني؟ قال : الزم بيتك واملِك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر ، وعليك بأمر خاصة نفسك ، ودع عنك أمر العامة» ، رواه أبو داود والنسائي .

وهذا من قبيل قوله تعالى : ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾^(٣) وعن أبي موسى نحوه ، وفي آخره قالوا : بم تأمرنا؟ قال : «كونوا أجلاس بيوتكم» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه .

وعن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد ، لا ينجو منه إلا رجل عرف دين الله ، فجاهد عليه بلسانه وبقلبه ، فذلك الذي سبقت له السوابق ، ورجل عرف دين الله فصدق به» رواه أبو نصر السجزي وأبو نعيم .

وعن حذيفة قال : قلت : يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر؟ قال : «نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت : صفهم لنا؟ قال : «هم من

(١) وردت في المخطوطة «إلا الذي» .

(٢) وردت في المطبوعة «كهذا» وهو تصحيف .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ١٠٥ .

جلدتنا، يتكلمون بالسنتنا» قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم» قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» وفي رواية عنه: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس» قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع [الأمير]^(١)، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك» رواه مسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال له رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر كيف أنت إذا كنت في حثالة، وشبك بين أصابعه» قال: ما تأمرني يا رسول الله؟ قال: «اصبر اصبر اصبر، خالقوا الناس بأخلاقهم، وخالقوهم في أعمالهم»، رواه الحاكم والبيهقي في الزهد.

وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقربوا الفتنة إذا حميت، ولا تعرضوا لها إذا عرضت، واضربوا أهلها إذا أقبلت».

عن خالد بن عرفطة أن النبي ﷺ قال له: «يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فإن استطعت أن تكون عبداً لله المقتول لا القاتل فافعل». رواه أحمد وابن أبي شيبه ونعيم بن حماد والطبراني والبخاري وابن قانع وأبو نعيم والحاكم.

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان شرطة، يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله، فإياك أن تكون من بطانتهم».

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا» رواه الترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول كل عشية [خميس]^(٢) لأصحابه: سيأتي على الناس زمان تمت فيه الصلاة، ويشرف فيه البنيان، ويكثر فيه الحلف والتلاعن،

(١) وردت في المطبوعة «الأمر» وهو تصحيف.

(٢) وردت في المطبوعة «خميس» والصواب ما أثبتته.

ويفشو فيه الرشا والزنا، وتباع الآخرة بالدنيا، فإذا رأيت ذلك فالنجا النجا، قيل:
وكيف النجا؟ قال: كن حلساً من أحلاس بيتك، وكف لسانك ويدك. رواه ابن أبي
الدنيا.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي، إلا كان
له من أمته [حواريون]^(١) وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون به، ثم إنها تخلف من
بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو
مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء
ذلك من الإيمان حبة خردل» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد قال: قال ﷺ: «من أكل طيباً، وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه،
دخل الجنة» فقال رجل: يا رسول الله إن هذا اليوم لكثير في الناس، قال: «وسيكون في
قرون بعدي» رواه الترمذي.

وعن أنس قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إن قدرت على أن تصبح وتسي ليس
في قلبك غش لأحد، فافعل»، ثم قال: «يا بني وذلك من سنتي، ومن أحب سنتي،
فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة» رواه الترمذي.

وعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر
مائة شهيد». رواه البيهقي.

وعن أبي هريرة: «التمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد» رواه الطبراني في
الأوسط.

(١) وردت في المطبوعة «حوارين» والصواب ما أثبتته.

الباب الثالث

في الأشراف العظام والأمارات القرية التي تعقبها الساعة

وهي أيضاً كثيرة :

فمنها المهدي

وهو أولها ، واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها ، لا تكاد تنحصر .
فقد قال محمد بن الحسن الأسنوي في كتاب « مناقب الشافعي » : قد تواترت الأخبار عن
رسول الله ﷺ بذكر المهدي ، وإنه من أهل بيته ﷺ . انتهى .

وستأتي الإشارة إليها إجمالاً ، ولو تعرضنا لتفصيلها طال الكتاب ، وخرج عن
موضوعه ، ولكن نقتصر على حاصل الجمع بين الروايات من غير تعرض لمخرجها
ومخرجيها ، والكلام فيه يأتي في مقامات :

المقام الأول : في اسمه ونسبه ومولده ومبايعه ومهاجره وحليته وسيرته :

أما اسمه : ففي أكثر الروايات أنه محمد ، وفي بعضها أنه أحمد ، واسم أبيه عبدالله ،
فقد ورد بل صح عنه ﷺ ، كما عند أبي داود والترمذي وقال : حسن صحيح عن ابن
مسعود رضي الله عنه أنه قال : « يواطىء أي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه [اسم
أبي] »^(١) ، وتعسف بعض الشيعة ، فقالوا : إن هذا تحريف ، والصواب اسم أبيه اسم
ابني بالنون ، يعني الحسن أو أن المراد بأبيه جده يعني الحسين ، والمراد باسمه كنيته ، فإن
كنيته الحسين أبو عبدالله ، فمعناه أن كنية جده الحسين توافق اسم والد النبي ﷺ ،

(١) ساقطة من المطبعة .

وذلك لاعتقادهم أنه محمد بن الحسن العسكري، وهو باطل من وجوه، أما أولاً فلهذه التعسفات، وأما ثانياً فلأن محمد بن الحسن، هذا مات، وأخذ عمه جعفر ميراث أبيه الحسن، وأما ثالثاً فلأن المهدي يبايع، وهو ابن أربعين سنة أو أقل، ولو كان هو لزاد عن سبعمائة سنة، وأما رابعاً فلأن مولد المهدي المدينة بخلافه، وأما خامساً فلأن رواية ابن المنادي عن علي عليه السلام^(١): فيجيء الله بالمهدي محمد بن عبدالله، بل وكثير من الأحاديث صريحة في رد ما قالوه، ووجوه آخر لا نطيل الكلام بذكرها.

تنبيه:

وقع للشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب «اليواقيت والجواهر» أنه مشى على هذا القول: ونسبه للفتوحات المكية، وسيأتي كلام الفتوحات وليس فيه ذلك، بل الذي فيه هو أن المهدي من أولاد فاطمة، ولا شك أن العسكري من أولاد الحسين، فما في الفتوحات أعم مما نسب إليها، والظاهر أن هذا مدسوس على الشعراني، ويؤيده أنه في حياته لم يحرر الكتاب المذكور، وأنه قال فيه: لا أحل لأحد أن يروي عني هذا الكتاب، حتى يعرضه على علماء المسلمين، ويجيزوا ما فيه، وقد وقع فيما خاف منه، فدرس عليه مذهب الشيعة، وما درس عليه في طبقاته أنه قال في ترجمة الحسين بن علي: إن العقب منه فقط لا من أخيه الحسن، وهذا أيضاً من دسائس الرافضة، وإلا فكيف ينكر الشعراني نسب الحسن، وهو أظهر من أن يشهر، وأكثر من أن يحصر، ومنهم الأعظم كأئمة اليمن، وملوك الحجاز، وملوك الغرب، وأئمة طبرستان القدماء كالداعي الكبير، وكتب النسب طافحة بأنسابهم «كعمدة الطالب» وغيرها.

وأئمة علم الأنساب مجمعون على إثبات نسبه، لم يختلف فيه منهم اثنان، ثم كيف يجوز أن ينسب ذلك إلى الشعراني وهو مصري، وأجلاء بني حسن كانوا بمصر كعبي طباطبا وغيرهم، فليتنبه لذلك فإنه زلة وبالله التوفيق.

ولقبه المهدي لأن الله هداه للحق، والجابر لأنه يجبر قلوب أمة محمد ﷺ، أو لأنه يجبر أي يقهر الجبارين والظالمين، ويقصمهم.

(١) وردت في المخطوطة «رعى الله عنه»

وكنيته أبو عبدالله، وفي «الشفاء» للقاضي عياض رحمه الله: أن كنيته أبو القاسم، وأنه جمع له بين كنية النبي ﷺ واسمه، ولم يذكر له سنداً سلام الله عليه^(١).

وأما نسبه فإنه من أهل بيت النبي ﷺ، ثم الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة، إنه من ولد فاطمة عليها السلام، وجاء في بعضها أنه من ولد العباس رضي الله عنه، ثم اختلفت الروايات في ولدي فاطمة، ففي بعضها أنه من أولاد الحسن، وفي بعضها أنه من أولاد الحسين، ووجه الجمع بينهما أن ولادته العظمى من الحسين أو من الحسن، وللآخر فيه ولادة من جهة بعض أمهاته، وكذلك للعباس فيه ولادة أيضاً، على أن في أولاد العباس كان من تسمى بالمهدي، وجاءتهم الرايات السود من خراسان، كما تنجيء للمهدي، وكان قبله المنصور، كما يكون قبل المهدي المنصور.

وأما مولده: فإنه يولد بالمدينة. رواه نعيم بن حماد عن أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه.

[وفي التذكرة للقرطبي: أن مولده ببلاد المغرب، وإنه يأتي من هناك، ويجوز على البحر كما سيأتي نقله]^(٢).

وأما مبايعته فإنه يبايع بمكة بين الركن والمقام ليلة عاشوراء، كما يأتي.

وأما مهاجره فإنه يهاجر إلى بيت المقدس وإن المدينة تخرب بعد هجرته، وتصير مأوى للوحوش، فقد ورد عمران بيت المقدس خراب يثرب.

وأما حليته فإنه آدم، ضرب من الرجال، ربعة، أجلى الجبهة، أفتى الأنف أشمه، أزج، أباج، أعين، أكحل العينين، براق الثنايا أفرقها، في خده الأيمن خال أسود يضيء وجهه كأنه كوكب دري، كث اللحية، في كتفه علامة للنبي ﷺ، أذيل الفخذين، لونه لون عربي [وجسمه جسم إسرائيلي]^(٣)، في لسانه ثقل، وإذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذ الأيسر بيده اليمنى، ابن أربعين سنة، وفي رواية: ما بين ثلاثين إلى

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

(٣) ساقطة من المطبوعة.

ومنها ما مرّ في حليته من علامة النبي ، وثقل اللسان وغير ذلك .
وأما الأمارات الدّالة على قرب خروجه :
فمنها أنه [ينشق]^(١) الفرات ، فينحسر عن جبل من ذهب .
ومنها أنه ينكسف القمر أول ليلة من رمضان ، والشمس ليلة النصف منه ، وهذا
لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض .
ومنها خسوف القمر مرتين في شهر رمضان ، وهذا لا ينافي الأول كما هو واضح .
ومنها طلوع القرن ذي السنين .
ومنها طلوع نجم له ذنب يضيء .
ومنها ظهور نار عظيمة من قبل المشرق ثلاث ليال أو سبع ليال .
ومنها ظهور ظلمة في السماء .
ومنها حمرة تظهر^(٢) في السماء ، وتشر في أفقها ليست كحمرة الأفق .
ومنها نداء يعمّ جميع أهل الأرض ، ويسمع أهل كلّ لغة بلغتهم^(٣) .
ومنها خسف قرية بالشام يقال لها «حريستا»^(٤) .
ومنها مناد^(٥) ينادي من السماء باسم المهدي ، فيسمع من المشرق ومن المغرب ،
حتى لا يبقى راقد إلا استيقظ ، ولا قائم إلا قعد ، ولا قاعد إلا قام على رجليه . وهذا
غير الصوت الذي بعد خروجه كما مرّ .
ومنها عصابة في شوال ثم معمعة في ذي القعدة ، ثم حرب في ذي الحجة ، ونهب
الحاج وقتلهم حتى تسيل الدماء على جمرة العقبة ، وبعض هذه المذكورات من نجم ذي

(١) وردت في المخطوطة «يشف» والصواب ما أثبت .

(٢) ساقطة من المطبوعة .

(٣) ساقطة من المطبوعة .

(٤) ساقطة من المطبوعة .

يومئذ [من] ^(١) غنيمة كلب ولو بعقال». قيل: يا رسول الله كيف يغنمون أموالهم ويسبون ذراريهم وهم مسلمون؟ قال ﷺ: «يكفرون باستحلالهم الخمر والزنا، ويأتي الهاشمي بالرايات السود، وسيفه على عاتقه ثمانية أشهر».

وفي رواية: «ثمانية عشر شهراً، يقتل ويمثل حتى يقول الناس: معاذ الله أن يكون هذا من ولد فاطمة، ولو كان لرحمنا يغريه الله ببني عباس وبني أمية، فتكون لهم وقعة بأرض من أرض نصيبين ووقعة بحران، وشعارهم أمت أمت».

وفي رواية: بكش بكش والمعنى واحد حتى يسلمونها إلى المهدي.

تنبيه:

في بعض الروايات يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر، وفي بعضها ثمانية عشر شهراً، وفي رواية اثنين وسبعين شهراً، وهي مدة ست سنين، وفي بعض الروايات إلى المهدي بيت المقدس، وفي رواية: فلا يبلغه حتى يموت، وفي رواية: فتلتقي بعض رايات الهاشمي مع خيل السفياي، فيكون بينهم مقتلة عظيمة، ويهزم خيل السفياي، ثم تكون الغلبة للسفياي، فيهرب الهاشمي، ويأتي التميمي مستخفياً إلى بيت المقدس، يمهد للمهدي إذا خرج من الشام.

وطريق الجمع بين الروايات الأول أن اثنين وسبعين باعتبار جميع مدته، ويدل له ما في بعض الروايات، أن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، [فيقاتلون فينصرون] ^(٢) فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يسلموه إلى المهدي، وثمانية عشر باعتبار ما بعد مدة قتاله مع خيل السفياي، واجتماع شعيب بن صالح به وثمانية أشهر باعتبار مدة ما بعد نزوله الكوفة، وبعثه بالبيعة إلى المهدي.

هذا جمع حسن لا بأس به، وطريق الجمع بين الروايات الأخيرة، هو أن يقال على بعد إن ضمير يموت راجع إلى السفياي، أي فلا يلقى الهاشمي المهدي حتى يموت

(١) ساقطة من المخطوطة.

(٢) ساقطة من المخطوطة.

